كتاب المفتاح

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

١

دخل في ملك الفقير الى الله تعالى
السيد علي بن الشيخ
القرشي العثماني العلوي
١١٦١

٢

الفقير الحقير
محمد بن ...
غفر له

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

القسم الثالث من الكتاب في علمي المعاني والبيان وفيه مقدمة لبيان حدي العلمين والغرض فيهما وفصلان لضبط معاقدهما والكلام فيهما المقدمة اعلم ان علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطاء في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره واعني بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عمن له فضل تميز ومعرفة وهي تراكيب البلغاء لا الصادرة عمن سواهم لنزولها في صناعة البلاغة منزلة اصوات حيوانات تصدر عن محالها بحسب ما يتفق واعني بخاصية التراكيب ما يسبق منه الى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا مجرى اللازم له لكونه صادرا عن البليغ لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو هو او لازما له لما هو هو حينا واعني بالفهم فهم ذي الفطرة السليمة مثل ما يسبق الى فهمك من تركيب ان زيدا منطلق اذا سمعته عن العارف بصياغة الكلام من ان يكون مقصودا به نفي الشك او رد الانكار او من تركيب زيد منطلق من انه يلزم مجرد القصد الى الاخبار او من نحو منطلق بترك المسند اليه من انه يلزم ان يكون المطلوب به وجه الاختصار مع افادة لطيفة مما يلوح بها

مقامها وكذا اذا الفظ بالمسند اليه وهكذا اذا عرّف او نكّر او قيّد او اطلق او قدّم او اخّر

علم البيان

على ما يطالعك على جميع ذلك شيئاً فشيئاً مساقُ الكلام في العلمين باذن الله تعالى واما
فهو معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان
ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطاء في مطابقة الكلام لتمام المراد منه وفيما ذكرنا
ما ينبه على انّ الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى وتقدّس من كلامه مفتقر الى هذين
العلمين كلّ الافتقار فالويل كلّ الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل ولما كان علم
البيان شعبة من علم المعاني لا ينفصل عنه الا بزيادة اعتبار جرى منه مجرى المركب
من المفرد لا جرم آثرنا تاخيره الفصل الاول في ضبط معاقد علم المعاني والكلام
فيه اعلم ان مساق الحديث يستدعي تمهيد اصل وهو ان مقتضى الحال عند التكلم
يتفاوت كما ستقف عليه اذا افضت النوبة الى التعرض له من هذا الكتاب باذن الله
تعالى فتارة يقتضي ما لا يفتقر في تاديته الى ازيد من دلالات وضعية والفاظ كيف

علم النحو

كانت ونظم لها لمجرد التاليف بينها يخرجها عن حكم النعيق وهو الذي سميناه في
اصل المعنى ونزلناه منزلة اصوات الحيوانات واخرى يقتضي ما يفتقر في تاديته
الى ازيد وظاهر ان الخطاء الذي نحن بصدده لا يجامع في الاول ادنى التمييز فضلاً

ان يقع فيه من العاقل المتفطن وانما منار الخطاء هو الثانى وان اختلج فى وهمك

ان الاحتراز عن الخطاء فى الثانى ان لم يتوقف على علم المعانى استغنى عنه وان لم توقف

عنه ولا شبهة فى ان الكلام فيه كلام من القبيل الثانى فيتوقف تعريفه على تعريف

له سابق ويتسلسل او يدور فاستوضح ما اجبناه عن تعلم علم الاستدلال

وعلم العروض اذ قيل ان كان العقل والطبع يكفى فى البابين فليستغن عن تعليمهما

والا كان تعلمهما موقوفاً على تعليم سابق والمآل اما الدور او التسلسل وستنظم

هذين العلمين فى سلك التعرض لهما اذا حان وقته باذن الله عز وجل واذ قد عرفت

هذا فنقول ان التعرض لخواص تراكيب الكلام موقوف على التعرض لتراكيبه ضرورة

لكن لا يخفى عليك حال التعرض لها منتشرة فيجب المصير الى ايرادها تحت الضبط

بتعيين ما هو اصل لها وسابق فى الاعتبار ثم حمل ما عدا ذلك عليه شيئاً فشيئاً

على موجب المساق والسابق فى الاعتبار فى كلام العرب شيئان الخبر والطلب المنحصر

بحكم الاستقراء فى الابواب الخمسة التى يأتيك ذكرها وما سوى ذلك نتايج امتناع

اجراء الكلام على الاصل وعساك فيما ترى ان تقتحمه عيناك لكنك اذا جليته

او ان كشف القناع وجدت من نفسك الشان بخلافه فلنقدمهما اعنى الخبر والطلب

فنقدم

لافتتاح

لافتتاح الحديث لما نحن له والله المستعان اعلم ان المعتنين بشانهما فرقتان فرقة

يتوجهها الى التعريف وفرقة تغنيهما عن ذلك واختيارنا قول هولاء اما في الخبر فلما ان كل احد

من العقلاء ممن لم يمارس الحدود والرسوم بل الصغار الذين لهم ادنى تمييز يعرفون

الصادق والكاذب بدليل انهم يصدقون ابدا في مقام التصديق ويكذبون

ابدا في مقام الكذب فلولا انهم عارفون بالصادق والكاذب لما اتى منهم ذلك

لكن العلم بالصادق والكاذب كما يشهد له عقلك موقوف على العلم بالخبر

الصدق و الكذب هذا والحدود التى تذكر كقولهم الخبر هو الكلام المحتمل

للصدق و الكذب او التصديق والتكذيب وكقولهم هو الكلام المفيد بنفسه

الخبر الخبر

اضافة امر من الامور الى امر من الامور نفيا او اثباتا بعد تعريفهم الكلام

بانه المنتظم من الاحروف المسموعة المتميزة وكقول من قال هو القول المقتضى

بصريحه نسبة معلوم الى معلوم بالنفي او بالاثبات ليتها صلحت للتعويل

بل اما ترى الحد الاول حين عرف صاحبه الصدق بانه الخبر عن الشيء على ما هو

والكذب بانه الخبر عن الشيء لا على ما هو به كيف دار فخرج عن كونه معرفا ومن ترك

الصدق والكذب الى التصديق والتكذيب ما زاد على ان وسع الدايرة والحد الثاني

حين اوجب ان يكون قولنا في باب الوصف الغلام الذي لزيد او ليس لزيد
خبرًا لكونه كلامًا على قول اي لصاحبه ومفيدًا بصريحة اضافة امر وهو الغلام
الى امرٍ وهو زيد بالاثبات في احدهما والنفي في الآخر مع انتفاء كونه خبرًا
بدليل انتفاء لازم الخبر وهو صحة احتمال الصدق والكذب فلا نزاع في كون
ذلك لازم الخبر انما النزاع في ان يكون حدا والحال ما تقدم وكذا قولنا
ان زيدًا غلام او ليس غلامًا بفتح انّ كيف خرج عن ان يكون مطردًا والحد الثالث
حين اوجب ان لا يكون قولنا ما لا يعلم بوجه من الوجوه لا يثبت ولا ينفى خبرًا
لامتناع ان يقال ما لم يعلم بوجه من الوجوه معلوم مع ان الكلام خبر كيف خرج
عن ان يكون منعكسًا مع انتقاضه بالنقيض المذكورين وهما الغلام لزيد او ليس
لزيد وان زيدًا غلام او ليس غلامًا بفتح انّ فتدبر ولسوال المعلومية وجه دفع
يذكر في الحواشي واما في الطلب فلان كل احدٍ يتمنى ويستفهم ويامر وينهى وينادي
يوجد كلاًّ من ذلك في موضع نفسه عن علمٍ وكل واحدٍ من ذلك طلب مخصوص
والعلم بالطلب المخصوص مسبوق بالعلم بنفس الطلب ثم ان الخبر والطلب
بعد افتراقهما بحقيقتيهما يفترقان باللازم المشهور لهما وهو احتمال الصدق

والكذب

والكذب والكلام فى الطلب وما نسبنا اليه لا يقتصر على ما قد قرعنا به سمعك
هنا لكنا سنفرغ فى صماخيك باذن الله تعالى اوان التصدى لتحقيقه ما ينقش
صورته فى ذهنك النقش الجلى ولنكتف بهذا القدر من التنبيه على استغناء
الخبر والطلب عن التعريف الحدى ولنعين لمساق الحديث فى كل منهما قانونا

مطلب قانون الاول

القانون الاول فيما يتعلق بالخبر اعلم ان مرجع الخبرية واحتمال الصدق والكذب
الى حكم المخبر الذى يحكمه فى خبره بمفهوم لمفهوم كما تجده فاعلاً ذلك اذا قال هو لزيد
او ليس لزيد لا الى حكم مفعول يشير اليه اشارته اذا قال الذى هو لزيد او ليس هو
لزيد فاوقعه صلة للموصول الذى من حقه ان يكون صلته قبل اقترانه بهما
معلومة للمخاطب واذا قال انه زيد بفتح ان فنقل الحكم بثبوت الزيدية
للضمير الى جعله تصورا مشارا اليه يحكم له او به اذا قال حق انه زيد او قال
الذى ادعيه انه زيد فاما السبب فى كون الخبر محتملاً للصدق والكذب فهو
امكان تحقق ذلك الحكم مع كل واحد منهما من حيث انه حكم مخبر ومرجع كون
الخبر مفيداً للمخاطب الى استفادة المخاطب منه ذلك الحكم ويسمى هذا فائدة
الخبر كقولك زيد عالم لمن ليس واقفاً على ذلك او استفادة منه انك تعلم ذلك الحكم

كقولك لمن حفظ التورية وقد حفظت التورية ويسمى هذا الازم فائدة

الخبر والاولى بدون هذه يمتنع وهذه بدون الاولى لا يمتنع كما هو حكم

اللازم المجهول المساوات ومرجع كونه صدقا او كذبا عند الجمهور الى مطابقة

ذلك الحكم للواقع او غير مطابقته له وهو المتعارف وعليه التعويل وعند

بعض الى طباق الحكم لاعتقاد المخبر او ظنه والى لا طباقه لذلك سواء كان

ذلك الاعتقاد او الظن خطاءً او صوابا بناءً على دعوى تبرء المخبر عن الكذب

متى ظهر خبره بخلاف الواقع واحتجاجه لها بان لو تكلم بخلاف الاعتقاد

او الظن لكن تكذيبنا لليهودى مثلا اذا قال الاسلام باطل وتصديقنا له اذا قال

الاسلام حق يتحجبان بالقلع على هذا البناء ويستوجبان طلب تاويل لقوله تعالى

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله

والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وهو حمل قول المنافقين على كونه مقرونا

بانه قول عن صميم القلب كما يترجم عنه ان واللام وكون الجملة اسمية في قولهم

لارباب البلاغة وسياتيك نقرض لهذه الاية واذ قد عرفت ان الخبر

يرجع الى الحكم بمفهوم لمفهوم وهو الذى نسميه الاسناد الخبرى كقولنا

1

شيء ثابت شيء ليس ثابتاً فانت يعني الا يحكم بالثبوت للشيء وفي الثاني باللاثبوت

للشيء عرفت ان فنون الاعتبارات الراجعة الى الخبر لا يزيد على ثلثه فن يرجع الى الحكم

وفن يرجع الى المحكوم له وهو المسند اليه وفن يرجع الى المحكوم به وهو المسند

اما الاعتبار الراجع الى الحكم في التركيب من حيث هو حكم من غير التعرض لكونه

لغوياً او عقلياً فان ذلك وظيفة بيانية فكلون التركيب تارة غير مكرر ومجرداً

عن لام الابتداء وان المشبهة والقسم ولام ونوني التاكيد كنحو زيد عارف واخرى

مكرراً او غير مجرد نحو عرفت عرفت ولزيد عارف وان زيداً عارف وان زيداً لعا رف

وو الله لقد عرفت او لاعرفن في الاثبات وفي النفي كون التركيب غير مكرر

ومقصوراً على كلمة النفي مرة كنحو ليس زيد منطلقاً وما زيد منطلقا ولا رجل عندي

ومرة مكرراً كنحو ليس زيد منطلقا ليس زيد منطلقا وغير مقصور على كلمة النفي كنحو

ليس زيد بمنطلق وما ان يقوم زيد ووالله ما زيد قايماً فهذه ترجع الى نفس الاسناد

الخبري واما الاعتبار الراجع الى المسند اليه في التركيب من حيث هو مسند اليه من غير التعرض

لكونه حقيقة او مجازاً فكالكونه محذوفاً كقولك عارف وانت تريد زيد عارف او ثابتاً

معرفاً من احدى المعارف ومعرفها مصحوباً بشيء من التوابع او غير مصحوب مقروناً

يفصل او غير مقرون او منكرا مخصوصا او غير مخصوص مقدما على المسند او موخرا عنه

واما الاعتبار الراجع الى المسند من حيث هو مسند فيتفاوت لكونه متروكا او غير متروك

وكونه مفردا او جملة وفى افراده من كونه فعلا او اسما منكرا او معرفا مقيدا بكل من ذلك

بنوع قيد او غير مقيد وفى كونه جملة من كونها اسمية او فعلية او شرطية او ظرفية

وكونه مقدما او موخرا هذا اذا كانت الجملة الخبرية مفردة اما اذا انتظمت مع اخرى

فيقع اذ ذاك اعتبارات سوى ما ذكر فن رابع ولا يتضح الكلام فى جميع ذلك اتضاحه

الا بالتعرض لمقتضى الحال فبالحرى ان لا نتحدم ظهريا فنقول والله الموفق للصواب

لا يخفى عليك ان مقامات الكلام متفاوتة فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنية

يباين مقام التعزية ومقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب

ومقام الجد فى جميع ذلك يباين مقام الهزل وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام

الكلام بناء على الاستخبار او الانكار ومقام البناء على السوال يغاير مقام البناء على الانكا

وجميع ذلك معلوم لكل لبيب وكذا مقام الكلام مع الزكى يغاير مقام الكلام

مع الغبى ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر ثم اذا شرعت فى الكلام فلكل كلمة

مع صاحبتها مقام ولكل حد ينتهى اليه الكلام مقام وارتفاع شان الكلام فى

6

فی باب الحسن والقبول والحطاطه فی ذلک بحسب مصادفة المقام لما یلیق به وهو الذی

نسمیه مقتضی الحال فان کان مقتضی الحال اطلاق الحکم فحسن الکلام تجریده عن مؤ کدات

الحکم وان کان مقتضی الحال بخلاف ذلک فحسن الکلام تحلیه بشیء من ذلک بحسب

المقتضی ضعفا وقوة فان کان مقتضی الحال طی ذکر المسند الیه فحسن الکلام ترکه و ان کان

المقتضی اثباته علی وجه من الوجوه المذکورة فحسن الکلام وروده علی الاعتبار المناسب

وکذا اذا کان المقتضی ترک المسند فحسن الکلام وروده عاریا عن ذکره وان کان

المقتضی اثباته مخصصا بشیء من التخصیصات فحسن الکلام نظمه علی الوجوه المناسبة من الاعتبارات

المقدم ذکرها وکذا اذا کان المقتضی عند انتظام الجملة مع اخری فصلها او وصلها

والایجاز معها او الاطناب اعنی طی جمل عن البین ولا طیها فحسن الکلام تالیفه مطابقا

لذلک وما ذکرناه حدیث اجمالی لا بد من تفصیله فاستمع لما یتلی علیک باذن الله تعالی

وقد ترتب الکلام ههنا کما تری علی فنون اربعة الفن الاول فی تفصیل اعتبارات

الاسناد الخبری والثانی فی تفصیل اعتبارات المسند الیه الفن الثالث فی تفصیل اعتبارات

المسند الفن الرابع فی تفصیل اعتبارات الفصل والوصل والایجاز والاطناب

وقبل ان نمنح هذه الفنون حقها فی الذکر ننبهک علی اصل لتکون علی ذکر منه وهو

مطلب الفن الاول

ان ليس من الواجب فى صناعة وان كان المرجع فى اصولها وتفاريعها الى مجرد العقل

ان يكون الدخيل فيها كالناشى عليها فى استفادة الذوق منها فكيف اذا كانت الصناعة

مستندة الى تحكمات وضعية واعتبارات الفية فلا على الدخيل فى صناعة علم المعانى ان يقلد

صاحبها فى بعض فتاواه ان فاته الذوق هناك الى ان يتكامل له على مهل موجبات ذلك الذوق

وكان شيخنا الحاتمى ذلك الامام الذى لن تسمح بمثله الادوار ما دار الفلك الدوار تغمده الله

تعالى برضوانه يحيلنا بحسن كثير من مستحسنات الكلام اذا راجعناه فيها على الذوق ونحن

حينئذ ممن ننتفع فى عدة شعب من علم الادب وصيغ بها بين وعانى فيها وكده وكده وها

هو الامام عبد القاهر قدس الله سره العزيز فى دلائل الاعجاز كرر غير هذا الفن الاول

من المعلوم ان حكم العقل حال اطلاق اللسان هو ان يفرغ المتكلم فى قالب الافادة ما ينطق به

تحاشيا عن وصمة اللاغية فاذا اندفع فى الكلام مخبرا لزم ان يكون قصده فى حكمه بالمسند للمسند اليه

فى خبره ذلك افادته للمخاطب متعاطيا مناطها بقدر الافتقار فاذا القى الجملة الخبرية الى من هو خالى

الذهن عما يلقى اليه ليحضر طرفاها عنده وينتقش فى ذهنه استناد احدهما الى الآخر ثبوتا

او انتفاء كفى فى ذلك الانتقاش حكمه ويتمكن لمصادفته اياه خاليا شعر اتانى هواها قبل

ان اعرف الهوى فصادف قلبى خاليا فتمكنا فيستغنى الجملة عن مؤكدات الحكم ويسمى هذا

هذا النوع من الخبر ابتدائياً واذا القاها الى طالب لها متحير طرفاها عنده دون

الاستناد فهو منه بين بين لينقذه عن ورطة الحيرة استحسن تقوية المنقذ بادخال اللام

اي بين النفي والاثبات

في الجملة او انّ كنحو لزيد عارف او ان زيداً عارف ويسمى هذا النوع من الخبر طلبياً واذا القاها

الى حكم فيها حاكم بخلافه ليرده الى حكم نفسه استوجب حكمه ليترجح تاكيداً بحسب ما اشرب

المخالف الانكار في اعتقاده كنحو اني صادق لمن ينكر صدقك انكاراً واني لصادق لمن يبالغ

في انكار صدقك ووالله اني لصادق على هذا وان شئت فتامل كلام رب العزة علت

كلمته اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا

ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم

انا اليكم لمرسلون حيث قال الله تعالى اولاً انا اليكم مرسلون وثانياً انا اليكم لمرسلون

كيف يقرر ما ألقي اليكم ويسمى هذا النوع من الخبر انكارياً واخراج الكلام في هذه الاحوال

على الوجوه المذكورة يسمى اخراجاً مقتضى الظاهر وانه في علم البيان يسمى بالتصريح كما ستقف عليه

والذي اريناك اذا اعملت فيه البصيرة استوثقت من جواب ابي العباس للكندي حين سأله

قائلاً اني اجد في كلام العرب حشواً يقولون عبد الله قائم ثم يقولون ان عبد الله قائم ثم يقولون

ان عبد الله لقائم والمعنى واحد وذلك ان قال ابو العباس بل المعاني مختلفة فقولهم عبد الله

قايم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قايم جواب عن سوال سايل وقولهم ان عبد الله
لقايم جواب عن انكار منكر قيامه هذا ثم انك ترى المفلقين السحرة فى هذا الفن ينفثون
الكلام لا على مقتضى الظاهر كثيرا وذلك اذا احلوا المحيط بفايدة الجملة الخبرية وبلازم
فائدتها علما محل الخالى الذهن عن ذلك لاعتبارات خطابية مرجعها تجهيله لوجوه مختلفة
وان شئت فعليك بكلام رب العزة ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق
ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون كيف تجد صدره يصف اهل الكتاب بالعلم على سبيل
التوكيد القسمى وآخره ينفيه عنهم حيث لم يعملوا بعلمهم ونظيره فى النفى والاثبات وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى وقوله وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا
ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم فيسوقون الكلام الى هذا مساقه الى ذلك وهكذا قد يقيمون
من لا يكون سايلا مقام من يسئل فلا يميزون فى صياغة التركيب للكلام بينهما وانما يصبونه
لهما فى قالب واحد اذا كانوا قدموا اليه ما يلوح مثله للنفس اللفظى بحكم ذلك الخبر فيتركها
مستشرفة له استشراف الطالب المتحير يتميل بين اقدام للتلويح واحجام لعدم التصريح
فيخرجون الجملة اليه مصدرة بان ويرون سلوك هذا الاسلوب فى امثال هذه المقامات
من كمال البلاغة واصابة المحز او ما ترى بشارا كيف سلكه فى ذائيته بكرا صاحبى

قبل الهجير ان ذاك النجاح فى التبكير حين استهواه التشبه بائمة صناع البلاغة

المهتدين بفطرتهم الى تطبيق مفاصلها وهم الاعراب الخلّص من كل حارش يربوع

وضبّ تلقاه فى بلاغته يضع الهناء مواضع النقب دون المولدين الذين

قصارى امرهم فى مضمار البلاغة وان الاستباق اذا استفرغوا مجهودهم

الاقتداء باولئك ومن الشواهد لما نحن فيه شهادة غير مردودة رواية الاصمعى

تقبيل خلف الاحمر بين عينى بشار بحضر ابى عمرو بن العلا حين استنشده

قصيدته على ما روى الاصمعى من ان خلفا قال لبشار بعدما انشد القصيدة لو قلت

يا ابا معاذ مكان ان ذاك النجاح بكرا فالنجاح فى التبكير كان احسن فقال بشار انما قلتها

يعنى قصيدة اعرابية وحشية فقلت ان ذاك النجاح فى التبكير كما يقول الاعراب البدوية

ولو قلت بكرا فالنجاح كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل فى معنى

القصيدة فقام وقبل فهل يخفى ما جرى بين بشار وصاحبيه وهم من فحولة هذا النوع

ومن المهرة المتقنين والسحرة الموخذين الاراشحة بتحقيق ما انت منه على ريبة وقل

مثل بشار وقد تعمدان يهدر بشقشقة سكانها فى الريح من كل ما ضيع قيصوم وشيح

اذا خاطب بكرا محرضا صاحبيه على التشمير عن ساق الجد فى شان السفار افتراه لا يتصور

هما

يشم

حائمين حول هل التكبير يشم النجاح فيتجانف عن التوكيد ولا يتلقاهما بان هيهات

ونظيره شعر فقمتها وهي لك الفدا ان غناء الابل الحداء وفي التنزيل ولا تخاطبني

في الذين ظلموا انهم مغرقون وكذا وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وكذا

وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم وكذا يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة

شيء عظيم وامثال ذلك كثيرة واذا صادف ما اريناك بصيرة منك ووقفت على ما

سيأتيك في الفن الرابع اعثرك في باب النقد لتركيبات الجمل الخبرية في نحو عبد ربك

ان العبادة حق له واعبد ربك فالعبادة حق له واعبد ربك العبادة حق له على تفاوتها

هناك واجد من نفسك فضل الاولى على الثانية بحسب المقام ورداءة الاخيرة تارة

والحكم بالعكس اخرى وكنت الحاكم الفيصل باذن الله تعالى وكذلك قد ينزلون

منزلة المنكر من لا يكون اياه اذا راوا عليه شيئا من ملابس الانكار فيجعلون حيز

الكلام لهما على منوال واحد كقولك لمن تصدى لمقاومة مكاوح امامه غير متدبر

مغترا بما كذبته النفس من سهولة تأتيها له ان امامك مكاوحا لك ومن هذا الاسلوب

قوله جاء شقيق عارضا رمحه ان بني عمك فيهم رماح ويقلبون هذه القضية مع المنكر

اذا كان معه ما اذا تامله ارتدع فيقولون لمنكر الاسلام الاسلام حق وقوله عز

عز وجل فی حق القرآن لاریب فیه وکم من شقی مرتاب فیه واهتدی علی ذا وهذا
النوع اعنی نعت الکلام لا علی مقتضی الظاهر متی وقع عند النظار موقعه استهش الانفس
وانق الاسماع وهز القرایح ونشط الاذهان ولامر ما تجد ارباب البلاغة وفرسان
الطراد فی میدانها الرامیة فی حدق البیان یستکثرون من هذا الفن فی محاوراتهم وانه فی
یسمی بالکنایة وله انواع تقف علیها وعلی وجه حسنها بالتفصیل هناک باذن الله تعالی
وان هذا الفن فن لا تلین عریکته ولا تنقاد قرونته بمجرد استقراء صوره منه وتتبع مظان
اخوات لها واتعاب النفس بتکرارها واستیداع الخاطر حفظها وتحصیلها بل لابد من
لها کثیرة ومراجعات فیها طویلة مع فضل الاهی من سلامة فطرة واستقامة طبیعة وشدة
ذکاء وصفاء قریحة وعقل وافر ومن اتقن الکلام فی اعتبارات الاثبات وقف علی اعتبارات
النفی واعلم انک اذا حذقت فی هذا الفن لصدق همتک واستفراغ جهدک فیه وبالحری
امکنک التسلق به الی العثور علی السبب فی انزال رب العزة قرانه المجید علی هذه المناهج ان
شاء الله تعالی
الفن الثانی لما تقرر ان مدار حسن الکلام وقبحه علی انطباق ترکیبه علی مقتضی الحال وعلی
لا انطباقه وجب علیک ایها الحریص علی ازدیاد فضلک المنتصب لاقتداح زناد عقلک
المتفحص عن تفاصیل المزایا التی بها یقع التفاضل وینعقد بین البلغاء فی شانها التسابق والتفاضل

ان ترجع الى فكرك الصائب وذهنك الثاقب وخاطرك اليقظان وان انتباهك
العجيب الشان ناظرًا بنور عقلك المتفحص وعين بصيرتك فى التصفح لمقتضيات الاحوال
فى ايراد المسند اليه على كيفيات مختلفة وصور متنافية حتى يتاتى ان تبرز عندك لكل منزلة
فى معرضها فهو الرهان الذى يجرب به الجياد والنضال الذى يعرف به الايد الشداد فتعرف
ان ثمّ حالًا يقتضى طى ذكره واما حال يقتضى خلاف ذلك اما حال يقتضى تعريفه مضمرًا
او علمًا او موصولًا او اسم اشارة او معرفًا باللام او بالاضافة واما حال يقتضى تعقيبه
شئ من التوابع الخمسة والفصل واما حال يقتضى تنكيره واما حال يقتضى تقديمه على المسند
واما حال يقتضى تاخيره عنه واما حال يقتضى تخصيصه او اطلاقه حال التنكير واما
حال يقتضى قصره على الخبر اما الحالة التى تقتضى طى ذكر المسند اليه فهى اذا كان السامع
مستحضرًا له عارفًا منك القصد اليه عند ذكر المسند اليه والترك راجح اما لضيق
واما للاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر واما التخييل ان فى تركه تعويلًا على الشهادة
وفى ذكره تعويلًا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر وكم بين الشهادتين واما الايهام
ان فى تركه تطهير اللسان عنه او تطهيره عن لسانك واما القصد الى عدم التصريح
ليكون ذلك سبيلا الى الانكار ان مست اليه حاجة واما لان الخبر لا يصلح الا له

جمعو

10

حقيقة كقولك خالق لما يشاء فاعل لما يريد او ادعاء ولمثالا لان الاستعمال وارد على تركه

او ترك نظائره كقولهم نعم الرجل زيد على قول من يرى اصل الكلام نعم الرجل هو زيد

واما الاغراض سوى ما ذكر مناسبة في باب الاعتبارات بحسب المقامات لا يهتدي الى

الا العقل السليم والطبع المستقيم وقلما ملاك الحكم هناك شيء غيرهما فراجعهما في مثل

قوله قال لي كيف انت قلت عليل سهر دايم وحزن طويل كيف تجد الحكم اذ لم اتاعليك

وفي مثل قوله حين شكا ابن عمه فلطمه فانشاء يقول سريع الى ابن العم يلطم وجهه

وليس الى داعي الندى بسريع حريص على الدنيا مضيع لدينه وليس لما في بيته بمضيع

حيث لم يقل هو سريع وفي مثل قوله ساشكر عمرا ان تاخرت منيتي ايادي لم تمنن

وان هي جلت فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت

اذ لم يقل هو فتى وفي مثل قوله اضاءت لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتى

نظم الجزع ثاقبه نجوم سما كلما انقضى كوكب بدا كوكب تاوى اليه كواكبه

حين لم يقل هم نجوم سماء وقوله عز وجل قايلا سورة انزلناها وفرضناها

اذا لم يقل هذه سورة انزلناها وقوله وما ادريك ما هيه نار حامية اذ ا

هي نار حامية وقوله فصبر جميل وقوله طاعة معروفة على احد الاعتبارين

امثالها

بقوم

لم يقل

فيهما وهو فامري صبر جميل وامركم او الذي يطلب منكم او طاعتكم طاعة
معروفة بحسب تفسير المعروفة واما الحالة التي تقتضي اثباته فهي ان يكون الخبر
عام النسبة الى كل مسند اليه والمراد تخصيصه بمعين كقولك زيد جاء وعمرو
ذهب وخالد في الدار وقول الله انجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرحل
وقوله النفس راغبة اذا رغبتها واذا ترد الى قليل تقنع او يذكر احتياطا في
احضاره في ذهن السامع لقلة الاعتماد بالقراين او للتنبيه على غباوة السامع او لزيادة الايضاح
والتقرير او لان في ذكره تعظيما للمذكور او اهانة له كما يكون في بعض الاسامي والمقام مقام ذلك
او يذكر تبركا به او استلذاذا له كما تقول الموحد الله خالق كل شيء ورازق كل حي او لان اصغاء
السامع مطلوب فيبسط الكلام افتراضا كما بسط موسى ع م اذ قيل له وما تلك بيمينك وكان
يتم الجواب بمجرد ان يقول عصا ثم ذكر المسند اليه وزاد فقال هي عصاي اتوكأ عليها واهش
بها على غنمي ولي فيها مارب اخرى ونظيره في البسط نعبد اصناما فنظل لها عاكفين فقد
بسطوا الكلام ابتهاجا منهم بعبادة الاصنام وافتخارا بمواظبتها منحرفين عن الجواب
المطابق المختصر وهو اصناما او لان الاصل في المسند اليه وهو كونه مذكورا او ما جرى
هذا المجرى واما الحالة التي تقتضي تعرفه فهي اذا كان المقصود من الكلام افادة الس

السامع فايدة يعتد بمثلها والسبب في ذلك هو ان فايدة الخبر لما كانت هي الحكم او لازمه
كما عرفت في اول قانون الخبر ولازم الحكم وهو انك تعلم حكما ايضا ولا شبهة ان احتمال
تحقق الحكم متى كانت ابعد كانت الفايدة في تعريفه اقوى ومتى كان اقرب كانت اضعف
وبُعد تحقق الحكم بحسب تخصيص المسند اليه والمسند كلما ازداد تخصيصا ازداد الحكم بُعدًا
وكلما ازداد عموما ازداد الحكم قربا وان شئت فاعتبر حال الحكم في قولك شيء ما موجود
وفي قولك فلان بن فلان حافظ للتورية والانجيل يتضح لك ما ذكرت ثم ان تخصص
المسند اليه اما ان يكون لكونه احد اقسام المعرفات فحسب وهي المضمرات الاعلام المبهمات
اعني الموصولات واسماء الاشارة المعرفات بلام المضافات الى المعارف اضافة حقيقية
مع القيد المذكور في علم النحو او لما زاد على ذلك من كونه مصحوبا بشيء من التوابع الخمسة
والمضمير المسمى فصلا واما ان يكون لا لما ذكر كما ستقف عليه ولكل من ذلك حالة تقتضيه
واما الحالة التي تقتضي كونه مضمرا فهي اذا كان المقام مقام حكاية كقوله انا الذي يجدوني
في صدورهم لا ان تقي صدرا منها ولا ارد وقوله انا المرعث لا اخفى على احد ذرت بي
الشمس للقاصي وللداني وقوله ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الاخذون لما رضينا
وقوله ونحن بنو عم على ذاك بيننا زرابي فيها بغضة وتنافس ونحن كصدع العس

(حواشٍ بين السطور: اي تلمعت — اي لقب بشار بن برد — بعيد — قريب — خبر شنعود — اي الغافون بمعنى غضب — بمعنى الفاعلون — اخذنا)

ان يُغط شاعبًا يذوعه ولفيه معيبه مُنتشا خنس او مقام خطاب كقوله يا ابن الاكارم
من عدنان قد علموا وتالد المجد بين العمر والخال انت الذى تنزل الايام منزلها وتمسك
الارض من خسفٍ وزلزالٍ وقوله قد كان قبلك اقوام تجمعت بهم حتى اتيناهم هلكهم
سمعا وابصارًا انت الذى لم تدع سمعًا ولا بصرًا الا تشفا فامر العيش امرارًا وقوله
وانت الذى اخلفتنى ما وعدتنى واشمت بى من كان فيك يلوم وقوله انت التى
كلفتنى دلج السرى وجون القطا بالجلهتين جثوم وحق الخطاب ان يكون مع مخاطب
معين ثم يترك الى غير معين كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه
اساء اليك فلا تريد مخاطبا بعينه كانك قلت ان اكرم واحسن اليه قصدا الى ان سوء
معاملته لا يختص واحدا دون واحد وانه فى القران كثير كقوله تعالى ولو ترى
اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم على العموم قصدا الى تفظيع حال المجرمين وان قد بلغت
من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا يختص برؤية راءٍ دون راءٍ بل كل من يتاتى
منه رؤية فله مدخل فى هذا الخطاب وكذا امثال له او كان المسند اليه فى ذهن السامع
لكونه مذكورا او فى حكم المذكور لقراين الاحوال ويراد الاشارة اليه كنحو قوله من البيض
الوجوه بنى سنان لو انك تستضئ بهم اضاوا هم حلوا من الشرف المعلى ومن حسب العشيرة

حيث شمّآ وا وقوله بعين ابي اسحق طالت بعد العلى وقامت قناة الدين واشتد كاهله

هو البحر من اي النواحي اتيته فلجته المعروف والبر ساحله وقوله اذا رى البصير محمودا وعنه

لبس

مذاهب فكيف اذا ما لم يكن عنه مذهب هو المهرب المنجي لمن احدقت به مكاره دهر

عنهن مهرب واما الحالة التي تقتضي كونه علما فهي اذا كان المقام مقام احضاره بعينه

مالك

في ذهن السامع ابتداء بطريق يخصه كنحو زيد صديق لك وعمرو عدو لك وقوله ابو

فاصبر فقير على نفسه ويشبع عمياه وقوله الله يعلم بما تركت قتالهم حتى علوا فرسي

باشقر مزبد وقال الله تعالى تبت يدا ابي لهب او مقام تعظيم وقوله والاسم صالح لذلك

كما في الكنى والالقاب المحمودة او اهانة والاسم صالح له كالاسامي المذمومة او كناية

مثل قوله تبت يدي ابي لهب اي يدي جهنمي او مقام ايهام انك تستلذ اسمه العلم

صولا

او تتبرك به او ما يناسب كل ذلك مما له مدخل في الاعتبار اما الحالة التي تقتضي كونه مو

اليه

فهي حين صح احضاره في ذهن السامع بوساطة ذكر جملة معلومة الانتساب الى مشار

واتصل باحضاره بهذا الوجه غرض مثل ان لا يكون لك منه امر معلوم سواه

او لمخاطبك فتقول الذي كان معك امس لا نعرفه او الذي كان معنا امس رجل

ن يستهجن

عالم فاعرفه او والذين في بلاد الشرق لا اعرفهم او لا تعرفهم او لا نعرفهم او ا

التصريح بالاحتراز أو أن يقصد زيادة التقرير كما في قوله تعالى وراودته التي

هو في بيتها عن نفسه والعدول عن التصريح باب من البلاغة يصار إليه كثيراً وإن أورث

تطويلاً يحكى عن شريح أنه أقر رجل عنده بشيء ثم رجع ينكر فقال له شريح شهد عليك

ابن أخت خالتك آثر شريح التطويل ليعدل عن التصريح بنسبة الحماقة إلى المنكر لكون

الإنكار بعد الإقرار إدخالاً للعنق في ربقة الكذب لا محالة والتهمة وكذا ما يحكى عنه

أن عدي بن أرطاة أتاه ومعه امرأة له من أهل الكوفة يخاصمها فلما جلس بين يدي

شريح قال عدي أين أنت قال بينك وبين الحائط قال إني امرؤ من أهل الشام قال

بعيد سحيق قال وإني قدمت العراق قال خير مقدم قال وتزوجت هذه قال بالرفاء

والبنين قال وإنها ولدت غلاماً قال ليهنك الفارس قال وأردت أن أنقلها إلى

داري قال المرء أحق بأهله قال وكنت شرطت لها دارها قال الشرط أملك قال اقض

بيننا قال فعلت قال فعلى من قضيت قال على ابن أمك عدل عن لفظ عليك لئلا يواجهه

بالتصريح على ما يشق على المخاصم من القضاء عليه وأن تومي بذلك إلى وجه بناء الخبر

الذي تبنيه عليه فتقول الذين آمنوا لهم درجات النعيم والذين كفروا لهم دركات

الجحيم ثم يتفرع على هذا اعتبارات لطيفة ربما جعل ذريعة إلى التعريض بالتعظيم

لشان

كقولك الذي يُحسن اليك يستحق الاجلال والرفع والذي يفارقك يستحق الاذلال
والصفع ومنه قولهم جاء بعد اللتيا والتي وسياتيك في فصل الايجاز بمعناه
او للاهانة كما اذا قلت الذي في الضوء زيد وربما جعل ذريعة الى تعظيم شان
الخبر كقوله ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول وربما جعل ذريعة
الى تحقيق الخبر كقوله ان التي ضربت بيتا مهاجرة بكوفة الجند غالت ودها
غول وربما جعل ذريعة الى التنبيه للمخاطب على خطاء كقوله ان الذين
ترونهم اخوانكم يشفي غليل صدورهم ان تصرعوا او على معنى اخر كقوله ان الذي
الوحشة في داره تؤنسه الرحمة في لحده وربما قصد بذلك ان تتوجه ذهن
السامع الى ما سيخبر به فيصير منتظرا لوروده عليه حتى ياخذ منه مكانه او نحو كقوله
والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد وفي هذه الاعتبارات كثرة
فخذ لها حولك كاملا واما الحالة التي تقتضي كونه اسم اشارة فهي متى صح احضاره
في ذهن السامع بوساطة الاشارة اليه حسا واتصل بذلك داع مثل ان لا يكون لك
او للسامع طريق اليه سواها او ان تقصد بذلك اكمل تمييز له وتعيينه كقوله قال ابن الرومي
هذا ابو الصقر فردا في محاسنه من نسل شيبان بين الضال والسلم وقوله واذا تامل

مطلب اسم اشارة

بشخص ضيف مقبل متسربل سربال ليل اغبر اومى الى الكوماء هذا طارق نحرتني الاعداء ان لم تنحر

وقوله ولا يقيم على ضيم يراد به الا الاذلان عير الحي والوتد هذا على الخسف مربوط برمته

وذا يشج فلا يرثى له احد وقولها اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنى وان عاهدوا اوفوا

وان عقدوا اشدوا او ان تقصد بذلك بيان حاله في القرب والبعد والتوسط كقولك هذا

وذلك وذاك ثم يتفرع على ما ذكر وجوه من الاعتبار مثل ان تقصد بذلك كمال العناية بتمييزه

وتعيينه كقوله عز من قائل اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون او ان تقصد ان السامع

غبي لا يتميز الشيء عنده الا بالحس كقول الفرزدق في خطاب جرير اولئك آبائي فجئني بمثلهم

اذا جمعتنا يا جرير المجامع او ان تقصد تحقيره بقربه واستيذاله كما قالت عائشة رضي الله عنها

يا عجبا لابن عمرو هذا المخرج له وهو عبد الله بن عمرو بن العاص وكما يحكيه عز وعلا عن الكفار

ماذا اراد الله بهذا مثلا وفي موضع آخر اهذا الذي بعث الله رسولا وفي موضع آخر اهذا الذي

يذكر آلهتكم وقوله وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وكما يحكيه القائل عن امرأته تقول ودقت

نحرها بيمينها ابعلي هذا بالرحى المتقاعس وببعده تعظيمه كما تقول في مقام التعظيم ذلك الفاضل

واولئك الفحول وكقوله تعالى الم ذلك الكتاب ذهابا الى بعد درجته وقولها فيما يحكيه جل وعلا

قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولم تقل فهذا وهو يوسف حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب

ونفتش به واستبعاداً للخلل ومن التقييد لقصد التعظيم قوله وهو تلك الجنة التي اورثتموها
او خلاف تعظيمه كما تقول ذلك اللعين او ما سوى ذلك مما لا تنحصر في هذا السلك ولطائف هذا
الفصل لا تكاد تنضبط واما الحالة التي تقتضي التعريف باللام فهي متى اريد بالمسند اليه نفس
الحقيقة كقولك الماء مشروب لكل حي قال عز من قائل وجعلنا من الماء كل شيء حي اي جعلنا مبدأ
كل شيء حي هذا الجنس الذي هو الجنس الماء يأتي في الروايات انه جل وعلا خلق الملائكة من ريح
خلقها منه وادم من تراب خلقه منه وكقولك الرجل خير افضل من المراة والدينار خير من الدرهم
والكل اعظم من الجزء ونعم الرجل وبئس الرجل ومن تعريف الجنس قوله والخل كالماء يبدي لي
ضمايره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر وقوله الناس ارض بكل ارض وانت من فوقهم سماء وقوله
عز وعلا اولئك اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ولقرب المسافة اذا تاملت بين ان يعرف
الاسم هذا التعريف وبين ان يترك غير معرف بل يعامل معرف كثيراً معاملة غير المعرف قال
ولقد امر على اللئيم يسبني فمضيت ثم قلت لا يعنيني فرق اللئيم والمعنى ولقد امر على لئيم
من اللئام ولذلك يقدر يسبني وصفاً لا حالاً ولفي القرآن غير نظير او العموم والاستغراق
كقوله عز وعلا ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما وقوله ولا يفلح الساحر حيث اتى او كان المسند اليه حصة معهودة

من الخفية كما اذا قال لك قائل جاءني رجل من قبيلة كذا او رجلان او رجال فتقول له الرجل

الذي جاءك اعرفه او الرجلان اللذان جاءاك او الرجال الذين جاؤك وفي التنزيل وابعث

في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وفي موضع آخر

كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول وتعريف ما ذكرنا من افادة اللام

الاستغراق او العهد يذكر في الحقيقة الثالثة ان شاء الله تعالى واما الحالة التي تقتضي التعريف

بالاضافة فهي متى لم يكن للمتكلم الى احضاره في ذهن السامع طريق سواها اصلا كقولك غلام زيد

ان لم يكن عندك منه شيء سواه او عند سامعك او طريق سواها اخصر والمقام مقام اختصار

كقوله هواي مع الركب اليمانين مصعد جنيب وجثماني بمكة موثق او لانه في اضافة حصول

مطلوب آخر مثل ان تغني عن التفصيل المتعذر او الاولى تركه لجهة من الجهات كقوله سوم

يوم اللقاء كانهم اسود لها في غيل خفان اشبل وقوله اولاد جفنة حول قبر ابيهم قبر ابن

مارية الكريم مفضل وقوله قومي هم قتلوا اميم اخي فاذا رميت يصيبني سهمي وقوله

قبائلنا سبع وانتم ثلاثة وللسبع خير من ثلاث واكثر او مثل ان تتضمن اعتبارا لطيفا

مجازيا كقوله اذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة سهيل اذاعت غزلها في القرائب وقوله

اذا قال قدني قال بالله حلفة لتغني عني ذا انائك اجمعا او مثل ان تتضمن نوع عظيم

اذا قال قدني قال

باعتبار

45

عبد الخليفة عند فلان الخ

حضر فتعظم شان العبد او كما تقول عبد الخليفة عند فلان الخ

باعتبار كما تقول عبدی حضر فتعظم شانك ان لك عبدًا او كما تقول عبد الخليفة

عندی فتعظم شان فلان او نوع تحقير كما تقول ولد الحجام عندی او غرضًا من الاغراض

ممكن التعلق بالاضافة واما الحالة التی تقتضی وصف المعرف فهی اذا كان الوصف مبيّنا

كاشفًا عنه كما اذا قلت الجسم الطويل العريض العميق يحتاج الى فراغ يشغله او قلت

المنقى الذی يؤمن ويصلی ويزكی على هدی من ربه فبيّنت بالوصف على العطف وجه ان

الذی يفعل الواجبات باسرها ويجتنب الفواحش والمنكرات عن اخرها وكشفته كشفا كان

حده ته ووجه اللطافة هو انك ذكرت اساس الحسنات ومنصبها وهو الايمان وعقبته بما

العبادات البدنية والمالية المستتبعتين لساير العبادات وهما الصلوة والزكوة فافدت بذلك

فعل الواجبات باسرها وذكرت الناهی عن الفحشاء والمنكر وهو الصلوة فافدت بذلك اجتناب

الفواحش عن اخرها ونظيره فی تنزيل الوصف منزلة الكاشف للمجری عليه قول اوس الالمعی

الذی يظن بك الظن كان قد رای وقد سمعا حكی عن الاصمعی انه سئل عن الالمعی فانشد

ولم يزد ومما يواخيه هذا قوله تعالی ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه

الخير منوعًا عن احمد بن يحيى قال لی محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلوع فقلت قد فسره الله

تعالی او مدحًا له كقولك الله البارئ المصور او كما تقول المنقی الذی يؤمن ويصلی ويزكی

الخالق

على هدى ولم ترد الا مدحه او ذماً له كقولك ابليس اللعين ضال مضل او مخصصاً له زيادة
تخصيص مفيداً غير فائدة الكشف او المدح كقولك زيد التاجر عندنا او كما قلت المتقي الذي
يومن ويصلي ويزكي على هدى وانت تريد بالمتقي المجتنب عن المعاصي او تاكيداً له مجرداً كقولك
امس الدابر لا يعود وكان مما تعلق بالوصف مطلوبا ولما ترى من طلب التمييز بالوصف
وامتناع ان تميز شيئا عن شيء بما لا تعرفه له يمكنك ان تتوصل به الى ان حق الوصف
كونه عند السامع معلوما التحقق للموصوف ولعلمك بان تحقق الشيء للشيء فرع على تحققه
في نفسه لا يشتبه عليك ان حق كل وصف هو ان يكون في نفسه ثابتاً متحققاً وان كل ما
تقصد ثبوته للغير ان يكون في نفسه ثابتاً وعندك فما لا يكون ثابتاً كذلك او متحققاً يمتنع
منك جعله وصفاً وكذلك خبراً ايضا بحكم عكس النقيض وعسى ذا استوضحت ما ذكرنا لك
ان تجزم بطبعك في تزييف راي من لا يرى الصفة معلومة وان تتحقق ان محاولة اثبات
الثابت في نفسه لشيء اخر تستدعي ثبوت ذلك الشيء الاخر في نفسه لا محالة ثم لعلمك ان الطلب
سعي في التحصيل وان تحصيل الحاصل ممتنع كما سياتيك كل ذلك في قانون الطلب تعلم ان
مطلوبك مثله في نحو هل رايت كذا او في نحو اضرب يمتنع ان يكون ثابتا عندك و متحققاً فيمتنع
ان تجعل مثله وصفاً او خبراً ولذلك تسمعنا في مثل قوله جاؤا بمذق هل رايت الذيب

16

قط نقول تقديره جاوا بمذق مقول عنده هذا القول الذي يحمله المذق لاشتباهه ان يقول المشاهد

هل رايت الذئب قط لا يراده في خيال الراي كون الذئب يورقه لكونه سمارا وفي مثل

زيدا اضربه او لا تضربه انه محمول على يقال اي يقال في حقه اضربه او لا تضربه ونفسره قراة

ابن عباس رضي الله عنهما ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون على لفظ من

الاستفهامي ورفع فرعون بانه لما وصف الله تعالى العذاب بكونه مهينا بيانا لشدته وفظاعة

امره واراد ان يصور كنهه قال من فرعون هل تعرفونه من هو في فرط عتوه وشدة شكيمته

في تغرغنه ما ظنكم بعذاب يكون المعذب به مثله ثم عرف حاله في ذلك قايلا انه كان عاليا

من المسرفين وسيطلع من كتابنا هذا من خدمه حق خدمته على نكات محتجبة في اكمام

واما الحالة التي تقتضي تاكيده فهي اذا كان المراد ان لا يظن بك السامع في حكمك ذلك

تجوزا او سهوا او نسيانا كقولك عرفت انا وعرفت انت وعرف زيد زيد او نفسه

او عينه وربما كان القصد مجرد التقرير كما يطلعك عليه فصل اعتبار التقديم والتاخير

مع الفعل او خلاف الشمول والاحاطة كقولك عرفني الرجلان كلاهما او الرجال كلهم

ومنه كل رجل عارف وكل انسان حيوان واما الحالة التي تقتضي بيانه وتفسيره

فهي اذا كان المراد زيادة ايضاحه بما يخصه من الاسم كقولك صديقك خالد   قدم

وقوله علّت كلمته لا تتخذوا الٓهين اثنين انما هو اله واحد من هذا القبيل شفع الٓهين

باثنين واله بواحد لان لفظ الٓهين يحتمل معنى الجنسية ومعنى التثنية وكذا لفظ اله

يحتمل الجنسية والوحدة والذى له الكلام مسوق هو العدد فى الاول والوحدة

فى الثانى ففسّر الٓهين باثنين واله بواحد بيانا لما هو الاصل فى الغرض ومن هذا الباب

من وجد قوله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه ذكر فى الارض مع دابة

ويطير بجناحيه مع طائر لبيان ان القصد من لفظ دابة ولفظ طائر انما هو الى الجنسين

والى تقريرهما واما الحالة التى تقتضى البدل عنه فهى اذا كان المراد تكرير الحكم

وذكر المسند اليه بعد توطئة ذكره لزيادة التقرير والايضاح كقولك سلب زيد

ثوبه وجاء القوم اكثرهم وحق عليك الصراط المستقيم صراط الذين انعم

الله عليهم فى الانواع الثلثة من البدل دون الرابع فلينتمل واما الحالة التى تقتضى

العطف فهى اذا كان المراد تفصيل المسند اليه مع اختصار كقولك جاء زيد وعمرو

وخالد او تفصيل المسند مع اختصار كقولك جاء زيد فعمرو فخالد او ثم عمرو ثم خالد

او جاء القوم حتى خالد ولا بد فى حتى من التدريج كما ينبئ عنه قوله وكنت فتى

من جند ابليس فارتمى بى الحال حتى صار ابليس من جندى او كان المراد رد السامع

فلوما[illegible] فبلكنت احسنت [illegible]

[illegible]

عن الخطاء

عن الخطاء فی الحکم الی الصواب کقولك جاءنی زید لا عمرو لمن فی اعتقاده ان عمرًا جاءه
دون زید او انهما جاءاك معًا وکقولك ما جاءنی زید لکن عمرو لمن فی اعتقاده ان زیدًا
جاءك دون عمرو او کان المراد صرف حکمك عن محکوم له الی آخر کقولك جاءنی زید بل عمرو
ما جاءنی زید بل عمرو او کان المراد الشك فیه او کان المراد التفسیر کقولك جاءنی اخوك
ای زیدٌ علی قولٍ وفی العطف لا سیما العطف بالواو کلام یاتیك فی الفن الرابع واما الحالة
التی تقتضی الفصل فهی اذا کان المراد تخصیصه للمسند بالمسند الیه زید هو المنطلق
زید هو افضل من عمرو او خیر منه زید هو یذهب واما الحالة التی تقتضی تنکیره فهی
اذا کان المقام للافراد شخصا او نوعًا کقولك جاءنی رجل ای فرد من اشخاص الرجال
وقوله تعالی و الله خلق کل دابة من ماءٍ ای من نوع الماء مختص بتلك الدابة او من ماءٍ
مخصوص وهی النطفة او کان المقام غیر صالح للتعریف اما لانك لا تعرف منه حقیقة
الا ذلك القدر وهو انه رجل وتتجاهل وتری انك لا تعرف منه الا جنسه کما اذا سمعت
شیئا فی اعتقادك فاسدا عمن هو عندك مفتر کذاب واردت ان تظهر لاصحابك سوء
اعتقادك به قلت هل لکم فی حیوان علی صورة انسان یستفاد یا ان فی فلان فتسمیه کانك
لست تعرف منه ولا اصحابك الا تلك الصورة ولعله عندکم اشهر من الشمس وعلیه

ما يحكيه جل وعلا عن الكفار فى حق النبى صلوات الله عليه وسلامه هل ندلكم على رجل

ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد كان لم يكونوا يعرفون منه الا انه رجل ما

وباب التجاهل فى البلاغة والى سحرها وان شئت فانظر لفظ كان فى قول الخارجية ايا شجر الخابور

مالك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف ماذا ترى او الاستخبار فى قول علام الغيوب

فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم متضمنا للتوبيخ لهم على تمريضهم

ورخاوة عقدهم فى الايمان ناعيا عليهم ان يتوقع من امثالهم ان تولوا امور الناس

وتامروا عليهم ان يفسدوا فى الارض ويقطعوا ارحامهم تفاخرا فى الملك وتهالكا على الدنيا

ليهجم بهم التامل فى المتوقع على ما تم من اوليك الذين لعنهم فاصمهم واعمى ابصارهم لئلا

يلبسوا المن اذا عرض لهم بذلك على سبيل النصيحة جلد النمر وان لا ينقلب لهم الميهم

واما لانه لا طريق لك اى تعريف الزايد على هذا القدر لسامعك واما لان تعيينه مانفا

يمنعك واما لانه فى شانه ارتفاعا او انحطاطا واصل الى حد توهم انه لا يمكن ان يعرف

فتقول فى جميع ذلك عندى رجل او حضر رجل وقولهم شر اهر ذا ناب من الاعتبار

الاخير وستسمع فى مثل هذا التركيب اعنى نحو رجل جاء وامراءة حضرت فوايد وكذا

قولك فى حق من تحقر مقداره فى نوع من الانواع عنده شمة قال الله تعالى ولئن مستهم

18

نفحة من عذاب ربك ومنه ان نظن الا ظنا وقول ابن ابى السمط له حاجب فى كل امر

يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب منه ايضا انظر اليه كيف تجد الفهم والذوق

يقتضيان كمال ارتفاع شان حاجب الاول وكمال انحطاط حاجب الثانى وقال الله

تعالى ولكم فى القصاص حيوة فنكر على معنى لكم فى هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص حيوة

عظيمة يمنع عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا او نوع من الحيوة وهى

الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لمكان العلم بالاقتصاص قال بعضهم اذا وضع لفظ

لمعنى اسما كان او فعلا او حرفا فقد صار علما لنفسه ولذلك يوصف بالمعرفة فيقال ضرب

الذى ركب فى كلام كذا فعل ماض ومن المذكور فيه حرف جر وهذا باطل قطعا لانك تقول

جسق الذى وقع فى عبارة فلان مهمل ولا وضع هنا لا صريحا ولا ضمنا فكيف يكون علما

وما وقع فى عبارة بعض النحاة من ان اللفظ اذا اريد به نفسه كان علما له لم يرد به انه علم له

حقيقة بل اراد انه بمنزلة العلم فى تعيين المراد وتشخيصه فالصواب ما اخترناه من انه

بتاويل هذا اللفظ او ما ترى اذا هم بالقتل فتذكر الاقتصاص فارتدع ان يرتدع كيف

يسلم صاحبه من القتل وهو المعقد لحيوة نفسين ولمعنى طلب التعظيم والتهويل بالتنكير

قال الله تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله دون ان يقول بحرب الله ورسوله ويخلاف ذلك

قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن

طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله اكبر دون ان يقول ورضوان الله قصدًا الى افادة

وقدرٍ يسيرٍ من رضوانه خير من ذلك كله لان رضاءه سبب كل سعادة وفلاح واما

قوله اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن بالتنكير دون عذاب الرحمن بالاضافة فاما

للتهويل واما بخلافه بمعنى اخاف ان يصيبك نفيال عن عذاب الرحمن وقال وان يكذبوك

فقد كذبت رسل اى رسل ذوو عدد كثير واولو ايات ونذرٍ واهل اعمارٍ طوالٍ واصحاب

صبرٍ وعزمٍ وما اشبه ذلك واما الحالة التى تقتضى تقديمه على المسند فهى متى كان ذكره

اهم ثم ان كونه اهم يقع باعتبارات مختلفة اما لان اصله التقديم ولا مقتضى للعدول

عنه وستسمع كلامًا فى هذا المعنى فى اخر الفن الثالث ان شاء الله تع واما لانه متضمن للاستفهام

كقولك ايهم منطلقًا وسيقرر فى القانون الثانى واما لانه ضمير الشان والقصة كقولك

هو زيد منطلق وعن قريب تعرف السر فى التزام تقدمه واما لان فى تقديمه تشويقًا

للسامع الى الخبر ليتمكن فى ذهنه اذا اورده بالشان حكم معهودٍ ذهنى لامونث فيه كزيد

قايم وبالقصة حكم معهود ذهنى اذا اورده كما اذا قلت صديقك فلان الفاعل الصانع

رجل صدوق وهو احدى خواص تركيب الاخبار فى باب الذى كما اذا قلت بدل

19

قولك زيد منطلق الذى منطلقا او بدل خير سقد مك سرّنى الذى هو سرّنى خير مقدمك

او الذى خيره سرّنى مقدمك وهو السبب فى التزام تاخير الخبر فى هذا الباب وامتناع

الاخبار عن ضمير الشان والمراد بالاخبار فى عرف النحويين فى هذا الباب هو ان تعمد

الى اىّ اسم شئت فى الكلام فتزحلفه الى العجز وتصيّر ما عداه صلة للذى ان كانت الجملة

اسمية واتما ان كانت فعلية فلذا والالف واللام لمعناه واضعًا مكان المزحلف ضميرًا

عايدًا الى الموصول مراعيًا فى ذلك ما افادك علم النحو مثل ان ضمير الشان ملتزم التقديم

وان الضمير لا ينصب مفعولًا وان الحال لا تكون معرّفا وانّ ربط المعنى بالمعنى اذا كان

لسبب عود الضمير فلابد منه وانا اضرب لك امثلة لتحقق جميع ذلك قل فى الاخبار

عن ضميرك فى اظنّ الذباب يطير فى الجوّ فيغضب ابا زيد الذى يظن الذباب يطير فى الجوّ

فيغضب ابا زيد انا او الظان الذباب وعن الذباب الذى اظنّه يطير فى الجوّ فيغضب ابا زيد

الذباب وعن الجوّ الذى اظنّ الذباب يطير فيه فيغضب ابا زيد الجوّ وعن ابى زيد الذى اظنّ

الذباب يطير فى الجوّ فيغضب ابو زيد وعن زيد الذى اظنّ الذباب يطير فى الجوّ فيغضبه

اباه زيد ولا تخبر فى قولك هو اكرامى زيدا قادمًا واجب عن ضمير الشان لئلا يلزم

تاخيره الممتنع ولا عن الاكرام لئلا يلزم اعمال الضمير الذى يقع موقعه فى زيد اولا عن قادمًا

لئلا يلزم وقوع الضمير الذى هو معرفة موقع الممتنع عن التعريف وهو الحال ولا من الضمير

فى واجب لئلا يلزم من عود الضمير القايم مقامه اذا عاد الى الموصول كما يجب ترك ربط

الخبر بالمبتدا، واما لان يتقوى اسناد الخبر اليه على الظاهر كما ستعرف فى الفن الثالث واما

لان اسم المسند اليه يصلح للتفاؤل فتقدمه الى السامع لتسره او تسوءه مثل ان تقول

سعد بن سعيد فى دار فلان وسفاك بن الجراح فى دار صديقك واما لان كونه

متصفا بالخبر يكون هو المطلوب لا نفس الخبر كما اذا قيل لك كيف الزاهد فتقول الزاهد

يشرب ويطرب واما لتوهم انه لا يزول عن الخاطر او انه يستلذ فهو الى الذكر اقرب

واما لان تقديمه ينبئ عن التعظيم والمقام يقتضى ذلك واما لانه يفيد زيادة تخصيص

كقولك متى تهزز بنى قطن تجدهم سيوفا فى عواتقهم سيوف جلوس فى مجالسهم رزان

وان ضيف الم فهم خفوف والمراد هم خفوف وقوله بحسبك فى القوم ان يعلموا

بانك فيهم غنى مضر مسيخ كلحم الحوار الا انت حلو ولا انت مر او اشباه ذلك

واما الحالة التى تقتضى تاخيره عن المسند فهى اذا اشتمل المسند على وجه من الوجوه

التقديم كما سترد عليك فى الفن الثالث ان شاء الله تعالى واما الحالتان

المقتضيتان لاطلاق المسند اليه او تخصيصه حال التنكير فانت اذا اسهرت

فيما نفقد مر استغنيت عن التعريف فيهما واما الحالة المقتضية لقصر المسند اليه
على المسند فهي ان يكون عند السامع حكم مشوب بصواب وخطاء وانت تريد
تقرير صوابه ونفي خطائه مثل ان يكون عند السامع ان زيدا متمول وجواد
فتقول له زيد متمول لا جواد ليعرف ان زيدا مقصور على التمول لا يتعداه
الى الجود او تقول له ما زيد الا متمول او انما زيد متمول وعليه ما يحكى جل
وعلا في حق يوسف ع م عن النسوة ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم انه مقصور
على الملكية لا يتخطاها الى البشرية وما يحكى عن اليهود في قوله و اذا قيل لهم
لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون اى يقولون نحن مقصورون على
الصلاح لا يتاتى منا امر سواه واعلم ان القصر كما يكون للمسند اليه على المسند يكون
ايضا للمسند على المسند اليه ثم ليس هو مختصا بهذا البيس بل له شيوع وله تفريعات
فالاولى ان نفرد للكلام في ذلك فصلا ونؤخره الى تمام التعرض لما سواه في قانوننا
هذا ليكون الى الوقوف عليه اقرب واعلم ان جميع ذلك هو مقتضى الظاهر ثم
قد يخرج المسند اليه لا على مقتضى الظاهر فيوضع اسم الاشارة موضع الضمير وذلك
اذا كملت العناية بتمييزه اما لانه اختص بحكم بديع عجيب الشان كقوله كم عاقل

عاقل عاقل اعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا هذا الذى ترك الاوهام حائرة

وصير العالم النحرير زنديقا واما لانه قصد التهكم بالسامع والسخرية منه كما اذا كان

فاقد البصر او لم يكن ثم مشار اليه اصلا او النداء على كمال بلادته بانه لا يميز

بين المحسوس بالبصر وبين غيره او على كمال فطانته وبعد غور ادراكه بان غير

المحسوس بالبصر عنده كالمحسوس عند غيره او قصد ادعاء انه ظاهر ظهور المحسوس

بالبصر كقوله تعاللت كى اشجى وما بك علة تريدين قتلى قد ظفرت بذلك وما شاكل

ذلك ويوضع المضمر موضع المظهر كقولهم ابتداء من غير جرى ذكر لفظا او قرينة

حال ربه رجلا ونعم رجلا زيد وبئس رجلا عمرو مكان رب رجل ونعم الرجل

وبئس الرجل على قول من يرى الاصل زيد نعم رجلا وعمرو بئس رجلا وقولهم هو

زيد عالم وهى هند مليحة مكان الشان زيد عالم والقصة هند مليحة ليتمكن فى ذهن

السامع ما يعقبه وذلك ان السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقى منتظرا لعقبى الكلام

كيف تكون فيتمكن المسموع بعده فضل تمكن فى ذهنه وهو السر فى التزام تقدمه قال

الله تعالى قل هو الله احد وقال فانها لا تعمى الابصار كما يوضع المظهر موضع المضمر

اذا اريد تمكين نفسه زيادة تمكين كقوله ان تسألوا الحق نعط الحق سائلة وقوله

تعالى الله الصمد دون هو الصمد بعد قوله قل هو الله احد ونظيره خارج باب المسند اليه
وبالحق انزلناه وبالحق نزل وكذا قوله فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم فانزلنا
على الذين ظلموا رجزاً من الا وبترك الحكاية الى المظهر اذا تعلق به غرض فعل الخلفاء حيث
يقولون امير المومنين يرسم لك مكان انا ارسم وهو ادخال الروعة فى ضمير السامع
وتربية المهابة او تقوية داعى المامور وعليه قوله فاذا عزمت فتوكل على الله ا وفعل
المستعطف حيث يقول اسيرك يتضرع اليك مكان انا اتضرع اليك ليكون ادخل فى الاستعطاف
وعليه قوله الهى عبدك العاصى اتاك وماجرى هذه الاعتبارات واعلم ان نوع هذا النوع
اعنى نقل الكلام عن الحكاية الى الغيبة لا يختص المسند اليه ولا هذا القدر بل الحكاية والخطاب
والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها الى الآخر ويسمى هذا النوع التفاتاً عند علماء علم المعانى
يستكثرون منه ويرون الكلام اذا انتقل من اسلوب الى اسلوب ادخل فى القبول
عند السامع واحسن تطريةً لنشاطه واملاء باستدرار اصغائه وهم احرياء بذلك
اليس قرى الاضياف وسجيتهم ونحر العشار للضيف دابهم وهجيراهم لا مزقت ايدى
الادوار لهم اديما ولا اباحت لهم حريما افتراهم يحسنون قرى الاشباح فيخالفون
فيه بين لون ولون وطعم وطعم ولا يحسنون قرى الارواح فلا يخالفون فيه بين

اسلوب واسلوب وايراد وايراد فان الكلام المفيد عند الانسان لكن بالمعنى لا بالصورة

انتهى غذاء لروحه والطيب قرى لها قال ربيعة بن مقروم بانت سعاد فامسى القلب معمود

واخلفتك ابنة الحر المواعيدا فالتفت كما ترى حيث لم يقل واخلفتني ثم قال ما لم الاق

امراء حزلا مواهبه سهل الفناء رحيب الباع محمودا وقد سمعت بقوم يحمدون

فلم اسمع بمثلك لا حلما ولا جودا فالتفت كما ترى حيث لم يقل بمثله وقال تذكرت والذكرى

تهيجك زينبا واصبح باقي وصلها قد تقضبا وحل بفلج فالاباتر اهلنا وشطت فحلت

غمرة فمثقبا فالتفت في البيتين وقال عوف بن الاحوص لهدمت الحياض فلم

يغادر لحوض من نصائبه اذاء لحولك اذهم مغنى واهلي واهلك ساكنون وهم

دياء فالتفت في الثاني وقال عبد الله ابن عنمة ما ان ترى السيد زيدا في نفوسهم

كما تراه بنو كوز ومرهوب ان تسألوا الحق نعط الحق سائله والدرع محقبة و

السيف مقروب فالتفت في تسألوا وقال الحارث بن حلزة طرق الخيال ولا كليلة

مدلج سدكا بارحلنا ولم يتعرج اني اهتديت لنا وكنت رحيلة والقوم قد قطعوا

متان السجسج فالتفت في الثاني وقال علقمة بن عبدة طحى بك قلب في الحسان

طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب تكلفني ليلى وقد شط وليها وعادت

عوادٍ بيننا وخطوب فالتفت فى البيتين وقال امرء القيس تطاول ليلك بالاثمد

ونام الخلى ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذى العاير الارمد وذلك من نباءٍ

جاءنى وخبرته عن ابى الاسود فالتفت فى الابيات الثلثة وامثال ما ذكر اكثر من ان يضبطها

برجاله

القلم وهذا النوع قد يختص مواقعه بلطايف معانٍ قلما تتضح الا لافراد بلغائهم

او للحذاق المهرة فى هذا الفن والعلماء النحارير ومتى اختص مواقعه فى الكلام بشىء

من ذلك كساه فضل بهاءٍ ورونق واورث السامع زيادة هزّةٍ ونشاطٍ ووجد

عنده من القبول ارفع منزلةٍ ومحلٍّ ان كان ممن يسمع ويعقل وقليل ما هم امر تحسب

انّ اكثرهم يسمعون ويعقلون ولا امر ما وقع التباين الخارج عن الحد بين المفسرٍ

لكلام رب العزة ومفسرٍ وبين غواصٍ فى بحر فرايده وغواصٍ وكل التفات وارد

فى القرآن متى صرت من سامعيه عرّفك ما موقعه واذا احببت ان تصير فاصغ ثم

ليتل عليك قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين فلعلك اليس مما يشهد له الوجدان بحيث

يغنيه عن شهادة ما سواه ان المرء اذا اخذ فى استحضار جنايات جانٍ متنقلا فيها عن

الاجمال

الى التفصيل من نفسه تفاوتًا فى الحال بيّنا لا يكاد يشتبه آخر حاله هناك او لها اوما

ترى اذا كنت فى حديثٍ مع انسانٍ وقد حضر مجلسكما من له جنايات فى حقك كيف

تضع تحول عن الجانى وجهك وتاخذ فى الشكاية عنه الى صاحبك بتتمه الشكوى
معدداً جناياته واحدة فواحدة وانت فيما بين ذلك واجد مزاجك يجى على تزايد
بحرك حالة لك غضبية تدعوك الى ان تواثب ذلك الجانى وتشافهه بكل سوءٍ
وانت لا تجيب الى ان تغلب فتقطع الحديث مع الصاحب ومباثتك اياه وترجع
الى الجانى مشافهاً له بالله قل لى هل عامل احدٌ مثل هذه المعاملة هل يتصور معاملة
اسوءُ مما فعلت اما كان لك حياء يمنعك اما كانت لك مروة تردعك
على هذا واذا كان الحاضر لمجلسك ذا نعم عليك كثيرة فاذا اخذت فى تعديد نعمه
عند صاحبك مستحضراً التفاصيلها احسست من نفسك بحالة كانها تطالبك بالاقبال
على منعمك وتزين لك ذلك ولا تزال تتزايد ما دمت فى تعداد نعمه حتى تحملك
من حيث لا تدرى على ان تجدك وانت معه فى الكلام تثنى عليه وتدعوا له
وتقول باى لسان اشكر صنايعك الروايع وباية عبارة احصر عوارفك
الزوارف وما جرى ذلك المجرى واذا وعيت ما قصصته عليك وتاملت
الالتفات فى اياك نعبد واياك نستعين بعد تلاوتك لما قبله من قوله الحمد
لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين على الوجه الذى يجب وهو

التامل القلبى علمت ما موقعه وكيف اصاب المحز وطبق مفصل البلاغة لكونه منبهًا
على ان العبد المنعم عليه بتلك النعم العظام الفائتة للحصر اذا قدر انه ماثل بين يدى
مولاه من حقه اذا اخذ فى القرآن ان يكون قراءته على وجه يجد معها من نفسه
شبه محرك الى الاقبال على محمد صاير فى اثناء القرآءة الى حالة شبيهة بايجاب
ذلك عند ختم الصفات مستدعية انطباقها على المنزل على ما هو عليه والا
لم يكن قاريًا والوجه هو اذا افتتح التحميد ان يكون افتتاحه عن قلب حاضر
ونفس ذاكرة يفعل فيم هو وعند من هو فاذا انتقل من التحميد الى الصفات ان يكون
انتقاله محذوًا به حذو الافتتاح فانه متى افتتح على الوجه الذى عرفت مجريًا على
لسانه الحمد لله افلا يجد محركًا للاقبال على من يحمد من معبود عظيم الشان حقيق بالثناء
والشكر مستحق للعبادة ثم اذا انتقل على نحو الافتتاح الى قوله رب العالمين واصفًا له
بكونه ربًا مالكًا للخلق لا يخرج من ملكوته شىء وربوبيته افترى ذلك المحرك لا يقوى
ثم اذا قال الرحمن الرحيم فوصفه بما ينبئ عن كونه منعمًا على الخلق بانواع النعم جلائلها
ودقايقها مصيبًا اياهم بكل معروف افلا تتضاعف معه قوة ذلك المحرك عند هذا
ثم اذا آل الامر الى خاتمة هذه الصفات وهى مالك يوم الدين المنادية على كونه مالكًا

للامر كله فى العاقبة يوم الحشر للثواب والعقاب فاظنك بذلك المحرك ابسع ذهنك

ان لا يصير الى حتى يوجب عليك الاقبال على المولى شان نفسك معه منذ

افتتحت التحميد ما تصورت فتستطيع ان لا تقول اياك يا من هذه صفاته نعبد

ونستعين لا غيرك فلا تنطبق على المنزل على ما هو عليه وليس ابن حجر الكندى

ببعد وهو المشهود له فى شان البلاغة والحايز لقصبات السبق فى درك اللطايف

والمقلد للاناسى من عيون النكت فى افتنانه فى الكلام اذا التفت تلك الالتفات

وكان يمكنه ان لا يلتفت البتة وذلك ان يسوق الكلام على الحكاية فى الابيات

الثلثة فيقول تطاول ليلى بالاثمد ونام الخلى ولم ارقد وبت وبات لنا ليلة

كقول لبيد فوقفت اسئلها وكيف سوالنا وان يلتفت نوعا واحدا فيقول

وبت وبات لكم ليلة وذلك من نباء جاكم وخبرتم عن ابى الاسود ان يكون

حين قصد تهويل الخطب واستفظاعه فى ابناء الموجع والخبر المفجع للواقع الفات

فى العضد المحرق للقلب والكبد فعل ذلك منبها فى التفاته الاول على ان نفسه

وقت ورود ذلك البناء عليها ولهت وله الثكلى فاقامها مقام المصاب الذى

لا يتسلى بعض التسلى الا بتفجع الملوك له وتحزنهم عليه واخذ يخاطبه بتطاول

ليلك تسلية اونبه على ان نفسه لفظاعة شان البناء واستشعارها معه كمدًا
وارتماضًا ابدت قلقًا لا يقلقه كمد وضجرًا لا يضجره مرتمض وكان من حقها
ان تتثبت وتتصبر فعل الملوك وجريًا على سننها المسلوك عند طوارق النوايب
وبوارح المصايب بحيث لم تنقل تشكيتها فى انها نفسه فاقامها مقام مركوب
ذى خرق قايلًا له تطاول ليلك مسليًا وفى التفاته الثانى على ان التحزن تحزن
صدق ولذلك لا يتفاوت الحال خاطبتك او لم اخاطبك وفى التفاته الثالث
على ان جميع ذلك انما كان لما خصه ولم يتعد الى من سواه اونبه فى التفاته
الاول على ان ذلك البناء اطار قلبه واطار لبه وتركه حايرًا بايرًا فما نطق معه
لمقتضى الحال من الحكاية فجرى على لسانه ما كان الفه من الخطاب الداير فى مجارى
امور الكبار امرًا ونهيًا والانسان اذا دهمه ما تحار له العقول وتطير له الالباب
وتدهش معه الفطن لا يكاد يسلم كلام عن امثال ذلك وفى التفاته الثانى
على انه بعد الصدمة الاولى حين افاق شيئًا مدركًا بعض الادراك ما وجد النفس
معه فبنى الكلام على الغيبة قايلًا وبات وباتت له وفى التفاته الثالث على ما سبق
اونبه فى التفاته الاول على ان نفسه حين لم تتثبت ولم تتصبر غاظه ذلك

فاقامها مقام المستحق للعتاب قايلا له على سبيل التوبيخ والتعيير تطاول ليلك وفى التفاتة

الثانى على ان الحامل على الخطاب والعتاب لما كان هو الغيظ والغضب فحين سكت

عنه الغضب بالعتاب الاول فان سورة الغضب بالعتاب تنكسر ولى عنها الوجه

وهو يدمدم قايلاً وبات وباتت له وفى التفاتة الثالث على ما تقدم وانما ذكرت

لك ما ذكرت لتقف على ان الفحول البزل لا يعترفون بالبلاغة لامرئ ولا يقيمون

لكلامه وزناً ما لم يعثروا من مطاوى افتنانه على لطايف اعتبارات والتفاصيل من

الكلام فى قلما يقع الا باشباهها واعلم ان لطايف الاعتبارات المرفوعة لك فى هذا الفن

من تلك المطامح النازحة من مقامك لا تنتهجها حق انباتها ما لم تمر بصيرتك فى الاستنشار

لما هنالك اطباء المجهود ولم تخلف فى السعى للتنقير عنها وراءك كل حد معهود ماداً

بضبعك صدق همة تنطش فى ستوخاك بباع بسيط ان لا تنزل عن مرمى غرضك

ولو سقدار فسيط مستظهراً فى طماعيتك ان تستثمرها بنفس لك يقظى وطبع لطيف

مع فهم متسارع وخاطر معوان وعقل دراك وعلماء هذه الطبقة الناظرة بانوار

البصاير المخصوصون بالعناية الالهية المدلون بما اوتوا من الحكمة وفصل الخطاب

على ان كلام رب العزة وهو قرانه الكريم وفرقانه العظيم لم يكتس تلك الطلاوة

ولا يستوع

سعد الدين

قوله الفن الثالث في تفصيل الاعتبارات الراجعة الى المسند للوجه الذى علمت له اى لابد من طلب الحال المقتضية لايراد المسند على صور وكيفيات مختلفة تعلم انه لابد من طلب الحال لايراد المسند على ما يتصور له من الصور والكيفيات وذلك مما يتأتى لك ورود المسند على ما يقتضيه الحال كالمسند اليه لما تقرر من ان مدار حسن الكلام وقبحه على انطباقه على مقتضى الحال وعدمها

قوله للوجه الذى متعلق بيتعلم والعائد الى الموصول محذوف اى علمت له وقوله تعلم له اى لذلك الوجه تكرر وتذكير لبعد العهد بذكره وهو كالبدل من قوله للوجه كما تقول بزيد مررت به ولكن ان تجعله من الاضمار على شريطة التفسير وهو ظاهر قوله الا وادى جمع آذى وتلاطمها ضرب بعضها ببعض شبه الخاطر ببحر يخرج منه اللآلى وكثرة حركاته الفكرية وتزاحمها بتلاطم الامواج ومعنى دون ادنى مكان لشئ استعير لكل تجاوز حد الى حد والمعنى ان الذى خص وتفرد بتلاطم امواج فكره متجاوزا ابناء جنسه المشاركين له فى اصل الفهم

ولا استودع تلك الحلائق وما اغدقت اسافله ولا اثمرت اعاليه وما كان بحيث يعلو ولا يعلى الا بانصبابه في تلك القوالب ولو روده على تلك الاساليب الفن

الثالث للوجه الذى علمت انها المخصوص بتلاطم آوادى فكره دون ابناء جنسه المستودع في استكشافه عن اسرار البلاغة كمال انسه النقاب المحدث فلا يحجب عنه شئ من بدائع النكت في مكامنها المستخرج للطائف السحر البيانى عن معادنها المستطلع طلع الاعجاز التنزيلى باستغراق طوقه المالك لزمام الحكم كفاء المتحدين لعجيب فهمه وغريب ذوقه فهو الطلبة وما عداه ذرايع اليه وهو المرام وما سواه اسباب للتسلق عليه ان لابد من التصفح لمقتضيات الاحوال في ايراد المسند اليه على تلك الصور والكيفيات تعلم له ايضا ان لابد من التفحص عن الاحوال المقتضية لانواع التفاوت في المسند من كونه متروكاً تارةً وغير متروك اخرى ومن كونه مفرداً او جملةً وفى افراده من كونه فعلاً نحو قام زيد ويقوم وسيقوم او اسماً منكراً او معرفاً من جملة المعرفات مقيداً كل من ذلك بنوع قيد نحو ضربت يوم الجمعة وزيد رجل عالم وعمرو اخوك الطويل وغير مقيد وفى كونه جملة من كونها اسمية او فعلية او شرطية او ظرفية ومن موخراً او مقدماً حتى يتهيأ لك ان يتسم لكل مقام بسمته وان يجرى الى حد مقتضاه

على قوم سمته او هو المطارح الذي ترازقيه قوى القراع والمطارد الذي يمتاز فيه

الجذع من القارح اما الحالة المقتضية لترك المسند فهي متى كان ذكر المسند اليه بحال

يعرف منه المسند وتعلق بتركه غرض اما اتباع الاستعمال كقولهم ضربي زيدًا قائمًا

واكثر شربي السويق ملتوتًا واخطب ما يكون الامير قائمًا وقولهم كل رجل وضيعته

وقولهم لولا زيد لكان كذا ونحو ذلك واما قصد الاختصار والاحتراز عن العبث

كما اذا قلت خرجت فاذا زيد وقلت زيد منطلق وعمرو وقوله عز من قائل افانبئكم

بشر من ذلكم النار اذا حملته على تقدير النار شر من ذلكم واما ضيق المقام مع قصد الاختصار

والاحتراز عن العبث كنحو قوله قالت وقد رأت اصفراري من به وتنهدت فاجبتها

المتنهد وستعرف في الحالة المقتضية لكونه اسمًا معرفًا اي التقديرين اولى وقوله نحن

بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف اي نحن بما عندنا راضون واما تخييل

ان العقل عند الترك هو معرفه وان اللفظ عند الذكر هو معرفه من حيث الظاهر وبين

المعرفين بون وقولك ان تأخذ من هذا الفصل وقوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه

واما ان لا يخرج ذكره الى ما ليس بمراد كما اذا قلت في زيد عندك ام عمرو وعندك

عمرو فانه يخرج ام عن كونها متصلة الى انها منقطعة واما لاختيار السامع هل يتنبه

عند قرائن الاحوال او ما مقدار تخبه عندها واما طلب تكثير الفائدة بالمذكور من حمله

عليه تارة وحمله على غيره اخرى كقوله تعالى فصبر جميل وقوله طاعة معروفة لحملهم تارة

على فصبر جميل اجمل وطاعة معروفة امثل وحملها اخرى على فامري صبر جميل وطاعة

معروفة اى معروفة بالقول دون الفعل اما الحالة المقتضية لذكره فهى ان لا يكون

ذكر المسند اليه يفيد المسند بوجه تام من الوجوه كما اذا قلت ابتداء زيد عالم او ان يكون

في ذكر المسند غرض وهو اما زيادة التقرير او التعريض بغباوة سامعك او استلذاذه

او قصد التعجب من المسند اليه بذكره كما اذا قلت زيد يقاوم الاسد مع دلالة قرائن

الاحوال او تعظيمه او اهانته او غير ذلك مما يصلح للقصد اليه في حق المسند اليه ان كان

صالحا لذلك او بسط الكلام بذكره والمقام مقام بسط او لان الاصل في الخبر هو ان يذكر

كما سبق امثال ذلك في اثبات المسند اليه او ليتعين بالذكر كونه اسما كنحو زيد عالم

فيستفاد الثبوت والتجدد صريحا فاصل الاسم صفة او غير صفة الدلالة على الثبوت

او كونه فعلا كنحو زيد علم فيستفاد التجدد او ظرفا كنحو زيد في الدار فيورث احتمال

الثبوت والتجدد بحسب التقديرين وهما حاصل وحصل وياتيك فيه كلام ويصلح

لشمول هذه الاعتبارات قولك عند الحالف الله الهنا ومحمد نبينا والاسلام ديننا

والتوحيد والعدل مذهبنا والخلفاء الراشدون ائمتنا والناصر لدين الاسلام خليفتنا والدعاء له

والثناء عليه وظيفتنا واما الحالة المقتضية لافراد المسند فهي اذا كان فعليا ولم يكن المقصود

من نفس التركيب تقوى الحكم واعني بالمسند الفعلي ما يكون مفهومه محكوما به بالثبوت

للمسند اليه او بالانتفاء عنه كقولك ابو زيد منطلق والكرم من البرستين وضرب اخوك عمرو

ويشكرك بكران قطه وفي الدار خالد اذ تقديره استقر وحصل في الدار على اقوى الاحتمالين

لتمام الصلة بالظرف كقولك الذي في الدار اخوك كما تقرر في ائمة علم النحو وتفسير تقوى

الحكم بذكره في حال تقديم المسند على المسند اليه واما الحالة المقتضية لكونه فعلا فهي اذا كان

المراد تخصيص المسند باحد الازمنة على اخصر ما يمكن مع افادة التجدد كقوله عز وعلا

فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون اي فويل لهم مما اسلفت ايديهم من كتبة

ما لم يكن بحال لهم وويل لهم مما يكسبون بذلك بعد من اخذ الرشى وقوله ففريقا كذبتم وفريقا

تقتلون اي ففريقا كذبتموه على التمام وفرغتم عن تكذيبه بما بقي منه غير تكذيب وفريقا

تقتلون اي ما بقي لكم قتله على التمام وانما تبذلون جهدكم ان تتموا قتله تحومون حول

قتل محمد عليه وانتم بعد على القتل وقوله فسيكفيكهم الله وقوله سيقول السفهاء وقوله سنستدرجهم

والمراد بالزمان الماضي ما وجد قبل زمانك الذي انت فيه وبالمستقبل ما يترقب وجوده

و بزمان الحال اجزاء من الطرفين يعقب بعضها بعضا من غير فرط مهلة و تراخ و الحاكم

في ذلك هو العرف لا غير و اما الحالة المقتضية لتقييده فهي اذا كان المراد تربية الفائدة

كما اذا قيد بنحو ما يتصل به من نحو المصدر كنحو ضربت ضربا شديدا او ظرف الزمان

كنحو ضربت يوم الجمعة او ظرف المكان كنحو ضربت امامك او السبب الحامل كنحو

تاديبا و فررت جبنا او المفعول به بدون حرف كنحو ضربت زيدا او بحرف كنحو

ضربت بالسوط او ما ضربت الا زيدا او المفعول معه كنحو جلست و السارية او الحال

كنحو جاء زيد راكبا او التمييز كنحو طاب زيد نفسا او الشرط كنحو يضرب زيد ان ضرب

عمرو او ان ضرب عمرو يضرب زيد اخرت او قدمت فهي كلها تقييدات للمسند و تفاصيل

يزداد الحكم بها بعدا و لو اذكر الخبر في نحو كان زيد منطلقا لان الخبر هنا كان هو نفس

المسند لا تقييد للمسند انما هو كان فتامل و قد ظهر لك في هذا ان الجملة الشرطية

جملة خبرية مقيدة بقيد مخصوص محتملة في نفسها للصدق و الكذب و اعلم ان للفعل

و لما يتصل به من المسند اليه و غير المسند اليه اعتبارات في الترك و الاثبات و الاظهار

و الاضمار و التقديم و التاخير و لذا اعني الفعل بتقييده بالقيد الشرطي على الخصوص اعتبارات

ايضا نذكر جميع ذلك في اخر هذا الفن في فصل لها على حدة اما الحالة المقتضية لترك

تعيين فهي اذا امتنع عن تربية الفائدة مانع قريب او بعيد اما الحالة المقتضية لكونه

اسما فهي اذا لم يكن المراد افادة التجدد والاختصاص باحد الازمنة الثلاثة

افادة الفعل لاغراض تتعلق بذلك اما الحالة المقتضية لكونه منكرا فهي اذا كان

الخبر واردا على حكاية المنكر كما اذا اخبر عن رجل في قولك عندي رجل تصديقا

لك فقيل الذي عندك رجل وكان المسند اليه نكرة كقولك رجل من قبيلة كذا

حاضر فان كون المسند اليه نكرة والمسند معرفة سواء قلنا يمتنع عقلا او يصح عقلا

ليس في كلام العرب وتحقيق الكلام فيه ليس مما يهمنا الآن واما ما جاء

من قوله ولايك موقف منك الوداعا وقوله يكون مزاجها عسل وماء

وبيت الكتاب أظبي كان امك ام حمار فمحمول على سؤال عرضت الناقة على

الحوض واصل الاستعمال ولايك موقفا منك الوداع ويكون مزاجها

عسلا وماء وأظبيا كان امك ام حمارا ولا نظن بيت الكتاب خارجا

عما نحن فيه ذهابا الى ان اسم كان انما هو الضمير والضمير معرفة وليس

المراد كان امك انما المراد ظبي بناء على ان ارتفاعه بالفعل المفسر لا بالابتداء

ولذلك قدرنا الاصل على ما ترى في البيت اعتبارات سؤالا وجوابا

فلا عليك ان تتاملها واياك والبحث في تخطية احد هناك فيخطاء ابن اخت خالتك

وان هذا النمط سمي فيما بيننا بالقلب وهي شعبة من الاخراج لا على مقتضى الظاهر

ولها شيوع في التراكيب وهي مما يورث الكلام ملاحة ولا يشجع عليها الا كمال

البلاغة تاتي في الكلام وفي الاشعار وفي التنزيل يقولون عرضت الناقة على الحوض

يريدون عرض الحوض على الناقة وقال القطامي كما طينت بالفدن السياعا اراد كما

طينت الفدن بالسياع وقال الشماخ كما عصب العلباء بالعود اراد كما عصب العود

بالعلباء وقال الجذامي وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر اراد وتشقى الضياطرة

الحمر بالرماح ولك ان لا تحمله على القلب بوساطة استعارة الشقاء لكسرها بالطعان

وقال رؤبة ومهمه مغبرة ارجاؤه كان لون ارضه سماؤه اراد كان لون سمائه

من غبرتها لون ارضه وقال الآخر يمشي فيقعس او يكب فيعثر اراد يعثر فيكب

وفي التنزيل وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا اي جاءها باسنا فاهلكناها على

الوجهين وفيه اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون

على ما يحمل من القه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم وفيه ثم دنى فتدلى لحمل

على تدلى فدنى او كان المسند اليه معرفا لكن المراد بالمسند وصف غير معهود ولا

الانحصار بالمسند اليه كما تقول زيد كاتب وعمرو شاعر فاذا الكلمات في تعريف المسند

باللام اتضح عندك ما ذكرنا او كان ينبئ تنكيره عما تقدم في تنكير المسند اليه

من ارتفاع الشان او الخطاطه كما قال الله تعالى هدى للمتقين مريدا بتنكيره انه

هدى لا يكتنه كنهه وكما قال الله ان زلزلة الساعة شيء عظيم واما الحالة المقتضية

للتخصيص اما باضافة كقولك زيد ضارب غلام او بالوصف كقولك زيد رجل عالم

فهي اذا كان المراد كون الفائدة اتم لما عرفت في فصل تعريف المسند اليه واما الحالة

المقتضية لترك التخصيص فظاهرة لك ان كان ما سبق على ذكر منك واما الحالة

المقتضية لكونه اسما معرفا فهي اذا كان عند السامع متشخصا باحدى طرق التعريف

معلوما له وكاني بك اسمعك تقول فالمسند اذا كان متشخصا عند السامع معلوما له

استلزم لا محالة كون المسند اليه معلوما له ايضا لما قدمنا ثم اذا كانا معلومين

عنده فماذا يستفيد فانا نقول يستفيد اما لازم الحكم كما ترى في قولك لمن اتى عليك

بالغيب الذي اتى علي بالغيب انت معرفا له انك عالم بذلك او الحكم كما ترى في قولك

لمن يعرف ان له اخا ويعرف انسانا يسمى زيدا او يعرفه بحفظ التورية او يراه

بين يديه لكن لا يعرف ان ذلك الانسان هو اخوه اذا قلت له اخوك زيد او اخوك

زيد

قوله ولا يقدم لما اخر الكلام في بيان افادة الحكم اولازمه انه يقول تارة زيد اخوك وتارة اخوك زيد وكذا في غيره من المعارف حاول بيان المقامات المقتضية لتقديم هذا المعرف على ذاك مرة وتاخيره عنه اخرى فقال انه لا يقدم ما يقدم بسلامة الامير جزافا بلا سبب بل لابد ان يطلب له جهة وهذا من امثال العجم وكلام المتغلبة من الخدم اذا اخذوا شيئا لسوقي فقال صاحبه لكم يا فلان قبول بسلامة الامير اي مادام امير سالما ما اخذ مثل هذا كثيرا والغنا بطالة اذا كان الاسمان معرفتان بحيث يستعد ان مع النسبة بينهما وكل منهما يصلح ان يكون محكوما عليه فانهما تحققت او توهمت ان السامع كالطالب للحكم عليه بجعله مسندا اليه او خبرا وقد قرر المصنف ذلك في الامثلة بما لا خفاء فيه قوله على الوجه المتصور اي على الوجه الذي يتصوره طالبا ان يحمل هذا المحكوم عليه وذاك محكوما به وكذا معنى قوله على ما يتصوره اي على الوجه الذي يتصوره ان يكون عليه ومعنى قوله كيف حكمك عليه انك معتقد بثنائه او بثناء الاخر وتحمل الخبر عن المثني اياه او الاخر وقوله باعتبار ... المقام الخطابي ... زيد كله ظاهر وتمام الكلام في ان السامع اذا علم ان احدا اثنى عليه ... فالذي يصلح الجواب ... الذي اثنى عليك ... الذي اثنى عليك زيد ... وكلام المصنف ... وعبد القاهر ... اذا بلغك ان انسانا من اهل بلدك ... من هو فجوابه زيد الثاني قوله

الذي يحفظ التورية او اخوك هذا فقدمت الاخ او اذا قلت زيد اخوك او الذي

يحفظ التورية اخوك او هذا اخوك فاخرت الاخ مع فالدر في جميع ذلك ان احدهما

الاخر ولا يقدم فيما نحن فيه ما يقدم بسلامة الامير لكن اذا اثنى عليك بالغيب انسان

وعلمت ان الثناء نقل اليك وانت تتصور كالمستخبر عن حالك هل تعلم ان ذلك المثني عليك

اي المثني عليك هو

هو وهل تحكم على ذلك المثني به فتقول الذي اثنى علي بالغيب انت فتاتي بالحكم على الوجه المتصور

جواب اذا في قوله لكن اذا اثنى عليك فتقدم الذي اثنى وتاخر انت لان السامع يطلب الحكم عليه بانه انت

ان كان اثنى عليك هو وغيره وعلمت ان ثناءهما نقل اليك وانت تتصور كالطالب ان يتبين

اي الاخر

له كيف حكمك عليه وعلى ذلك الاخر فتقول له الذي اثنى علي بالغيب انت فتاتي بالحكم

جواب قوله او كان اثنى فان تقديره او اذا كان اثنى

على ما يتصور وتفيد انك انما اعتبرت ثناءه دون ثناء غيره واذا قلت انت الذي اثنى علي

افادة الحكم

بالغيب فلتة اذا كان اثنى عليك ونقل الثناء اليك بحضرته وبحضرة غيره فتصورته

يعني وذلك الاخر

كالطالب ان يتبين له كيف حكمك عليه فاتيت بالحكم على الوجه المطلوب واذا قلت

اخوك زيد قلته لمن يعتقد اخا لنفسه لكن لا يعرفه على التعيين فتتصوره طالبا منك

الحكم على اخيه بالتعيين واذا قلت زيد اخوك قلته لمن يعلم زيدا وهو كالطالب ان يعرف

حكما له وانت معتقد ان له اخا لكن لا يعلمه على التعيين وكذلك اذا قلت اخوك

الذي يحفظ التورية او الذي يحفظ التورية اخوك واخوك هذا او هذا اخوك

Margin, left of the main text: افادة لازم الحكم

Margin, left of the main text: على

م الثالث قوله واذا تاملت يعني ان النحويين قد اتفقوا على ان المبتدا والخبر اذا كانا معرفتين لم يجز تقديم الخبر بل ايهما قدمت كان هو المبتدا والاخر الخبر لكون بنوا ذلك على امر لفظي هو خوف
الالتباس حتى اذا قامت القرينة وامن من الالتباس جاز كما في قوله بنونا بنو ابنائنا وبناتنا بنوهن ابناء الرجال الاباعد ولم يلتفتوا الى المعنى في ذلك والسر فيه فقال المصنف
انك اذا تاملت فيما ذكرنا من ان ما يقدم لا يقدم لسلامة ان ما يرى بالمعنى الذي قررنا في الامثلة والوجه الذي بيناه فيها اطلعت على حقيقة المعنى والسر فيما ذكروا اذ ذلك ان كل ما قدم
كان هو الذي قصد الحكم عليه وان اخر الحكم به فالمحكوم عليه مبتدا والمحكوم به خبر قوله وما قد يسبق اشارة الى الرد على الامام الرازي فيما ذهب اليه من انك سواء قلت زيد المنطلق
او المنطلق زيد فزيد متعين لكونه مبتدا ولانه هو الدال على الذات والذات هو الحقيق بان يكون مسندا اليه لانه الذي يقوم بنفسه ويقوم به غيره والمنطلق متعين لان يكون خبرا لكونه
دالا على معنى نسبي لا يقوم بنفسه بل بغيره كالانطلاق الذي هو معنى قائم بالغير فيكون حقيقا بان يكون مسندا به وهو معنى الخبر ووجه الرد انا لا نجعل المنطلق مبتدا الا حال كونه دالا على الذات اي الشخص
الذي له الانطلاق غاية ان مراد الذات وصفت بانتساب امر نسبي اليه وبهذا التقدير لا يوجب بعينه لان يكون مسندا ليلزم كونه خبرا وزيدا لا نجعله خبرا الا ان يكون دالا على معنى نسبي يتحقق
ان يكون خبرا وهو صاحب اسم زيد اي مسمى بزيد فان قلت الدلالة على المعنى النسبي حاصل فاي حاجة الى الخبر بدليل قولك زيد اخوك ورجل دان ونحو ذلك والقول بان الخبر يجب ان يكون
مشتقا او في معناه انما هو [illegible] الكوفيين قلت كانه اعتبر ذلك ليصح على راي الكوفيين ايضا وعلى راي ارباب المعقول القائلين بان الجزئي الحقيقي لا يقع محمولا البتة قوله لا معرج عليه اي لا تعويل ولا اقامة ولا ثبات من عرج على المنزل مطيته اقامها عليه قوله واما ما قد يقع يعني قد يجد من المبتدا والخبر المعرفتين ما يدل قطعا على ان المبتدا محكوم عليه ومسند اليه والمقدم محكوم به ومسند كقول ابي تمام ثم وان لم انم كراي كراكا شاهدي الدمع ان ذاك كذاكا وقوله في صفة القلم لعاب الافاعي القاتلات لعابه واري الجنى اشتارته ايد عواسل للقطع بان المعنى ان كراك كراي ولعابه لعاب الافاعي فاجاب بانه من قبيل القلب حيث جعل المبتدا خبرا والخبر مسندا الاري العسل اشتاره اجتناه العاسلة الجماعة الذين يتخذون العسل والمعنى ان قلمه هلاك للاعداء بمنزلة السم ونفع للاولياء بمنزلة العسل قوله واعلم ان القول بتعريف الحقيقة باللام وباستغراقها اي استغراق اللام الحقيقة مشكل وقوله اذا قلنا اي قوله والاقرب بيان لوجه الاشكال وتوضيحه ان المراد بتعريف الحقيقة اما القصد الى الحقيقة من حيث هي هي وتمييزها من سائر الحقائق واما القصد اليها حال حضورها حقيقة او تقديرا واما استغراقها وشمول افرادها اذ لا يعقل ولا ينقل سوى ذلك والكل فاسد اما الاول فلوجهين احدهما لزوم كون الاسماء الاجناس معارف من غير ان يكون مقرونة بشيء من طرق التعريف لكونها موضوعة للقصد الى الحقيقة وتمييزها اذ ليس معنى الضرب مثلا في ضربت ضربا الا تلك الحقيقة المخصوصة من بين حقائق الافعال واللازم باطل بالاتفاق وهذا معنى قوله وانه اي كون اسماء الاجناس معارف قول اي معقول لم يقل به احد من اهل اللغة وائمة العربية الذين لهم بيان الاوضاع ومعاني الالفاظ ثم اشار الى اعتراضين جعلهما الى انتفاء اللازم ومنع الملازمة ودفعهما وكان الانسب بداب المناظرة تقديم الثاني قوله ولئن التزم اللام فيه موطئة للقسم وهي التي تدخل على لفظ المبني للمفعول المسند الى ضمير ملتزم لام جواب القسم وهو قائم مقام جواب الشرط وكذا في قوله لئن ذهبت ليلزمنك وذكره بلفظ الخطاب لان له جهة تحقق

واذا قلت زيد المنطلق قلته لمن يطلب ان يعرف حكما لزيد اما بتعريف باعتبار
تعريف العهد ان كان المنطلق عنده معهودا واما باعتبار تعريف الحقيقة واستغراقها
واذا قلت المنطلق زيد قلته للشخص في ذهنه المنطلق باحد الاعتبارين وهو طالب
لتعيينه في الخارج واذا تاملت ما تلوته عليك اعترك على معنى قول النحويين رحمهم الله لا تجوز
تقديم الخبر على المبتدا اذا كانا معرفتين مقابل ايهما قدمت فهو المبتدا وما قد يسبق الى بعض
الخواطر من ان المنطلق دال على معنى نسبي فهو في نفسه متعين للخبرية وان زيدا دال على الذات
فهو في نفسه متعين للمبتدائية تقدم او تاخر فلا معرج عليه فان المنطلق لا يجعل مبتدا
الا بمعنى الشخص الذي له الانطلاق وانه بهذا المعنى لا يجب كونه خبرا وان زيدا
لا يوقع خبرا الا بمعنى صاحب اسم زيد ويكون المراد من قولنا المنطلق زيد الشخص
الذي له الانطلاق صاحب اسم زيد واما ما قد يقع من نحو قولهم نحو وان لم انم
كراي كراكا ونحو قوله لعاب الافاعي القاتلات لعابه مما لا يستقيم معناه الا بالتقديم
والتاخير فحقه الحمل على القلب المقدم ذكره فاعرفه واعلم ان القول بتعريف الحقيقة
باللام وباستغراقها مشكل اذا قلنا المراد بتعريف الحقيقة القصد اليها وتمييزها من حيث
هي هي لزم ان يكون اسماء الاجناس معارف فانها موضوعة لذلك وانه قول لم يقل به

ولكن التزمه ملتزم ليكد بن في امتناع رجع رجعى السريعة او البطيئة وذكر ذكرى الحسنة

والقبيحة وانما لم يقل رجوعًا السريع وذكرًا الحسن قصرًا للمسافة في التجنب عن حديث

التنوين ماهي ولئن ذهبت الى ان في نحو رجلٍ وفرسٍ وثورٍ اعتبار الفردية فليس فيها

القصد الى الحقيقة اذن من حيث هي هي ليلزمنك المصادر من نحو قتلٍ وضربٍ وقيامٍ

وقعودٍ ورجعى وذكرى فليس فيها ذلك بالاجماع ولزم ان يكون اللام في نحو الرجل ونحو

الضرب لتاكيد تعريف الحقيقة اذ لم يقصد العهد وانه قول ما قال به احد واذا قلنا

المراد بتعريف الحقيقة القصد اليها حال حضورها او تقدير حضورها لم يمتز عن تعريف

العهد الوارد بالتحقيق او بالتقدير لا تعريف العهد ليس شيئا غير القصد الى الحاضر في الذهن

حقيقتًا ومجازًا كقولك جاءني رجل فقال الرجل كذا او قولك انطلق رجل الى موضعٍ

كذا والمنطلق ذو وجدٍ قال الله تعالى وليس الذكر كالانثى اى وليس الذكر الذى طلبت

كالانثى التى وهبتها واذا قلنا المراد تعريف الحقيقة هو الاستغراق لزم في اللام كونها

موضوعة لغير التعريف اذا تاملت ولزم مع ذلك ان يكون الجمع بينها وبين لفظ المفرد

جمعا بين المتنافيين وان صير في الجمع بينهما الى نحو الجمع بين المفرد وبين الواو والنون

في نحو المسلمون امتنع لوجوه كثيرة لا تخفى على متقني انواع الادب ادناها وجوب نحو الرجل

الطوال والفرس الدهر او صحته لا اقل على الاطراد وكل ذلك على ما ترى فاسد
والاقرب بناءً على قول ائمة اصول الفقه بان اللام موضوعة لتعريف العهد لا غير
هو ان يقال المراد بتعريف الحقيقة احد قسمي التعريف وهو تنزيلها منزلة المعهود
بوجه من الوجوه الخطابية اما لان ذلك الشئ محتاج اليه على طريق التحقيق فهو
لذلك حاضر فى الذهن فكانه معهود او على طريق التهكم وستعرف معنى هذا فى علم
البيان واما لانه عظيم الخطر معقود بره الهمم على احد الطريقين فيبنى على ذلك انه
قلما ينسى فهو لذلك بمنزلة المعهود الحاضر واما لانه لا يغيب عن الحس على احد الطريقين
فيبنى على ذلك حضوره وينزل منزلة المعهود واما لانه جار على الالسن كثير الدور
فى الكلام على احد الطريقين فيقام لذلك مقام المعهود واما لان اسبابًا فى شانه متأخذة
او غير ذلك مما يجرى مجرى هذه الاعتبارات فيقام الحقيقة لذلك مقام المعهود ويقصد
اليها بلام التعريف ثم ان الحقيقة لكونها من حيث هى هى لا متعددة لتحققها مع التعدد
ولا لا متعددة لتحققها مع الوحدة وان كانت لا تنفك فى الوجود عن احدهما صالحة
للتوحد والتكثر فيكون الحكم استغراقًا او غير استغراق الى مقتضى المقام فاذا كان خطابيًا
مثل المؤمن غِرٌّ كريم والمنافق خِبٌّ لئيم حمل المعرف باللام مفردًا كان او جمعًا على الاستغراق

31

بعلة ايهام ان القصد الى فرد دون آخر مع تحقق الحقيقة فيهما يقود الى ترجيح

احد المتساويين واذا كان استدلالياً حمل على اقل ما يحتمل وهو الواحد فى المفرد والعدد

الزايد على الاثنين بواحدٍ فى الجمع فلا يوجب فى مثل حصّل الدرهم الا واحد وفى

مثل حصل الدراهم الا ثلثة وستقف على هذا فى نوع الاستدلال اذا انتهينا اليه باذن الله

ويبنى كلامى هذا على ان الاثنين ليسا جمع فان عدّ العالم الواقف على هاتيك الصناعة

بسوابقها ولواحقها للاثنين جمعاً غير مرتضىً منه وههنا دقيقة وهى ان الاستغراق

نوعان عرفى وغير عرفى فلا بدّ من رعاية ذلك فالعرفى نحو قولنا جمع الامير الصاغة

اذا جمع صاغة بلده او اطراف مملكته بحسب لا صاغة الدنيا وغير العرفى نحو قولنا

الله غفار الذنوب اى كلها واستغراق المفرد يكون اشمل من استغراق الجمع

ويتبين ذلك بان ليس يصدق لا رجل فى الدار فى نفس الجنس اذا كان فيها رجل

او رجلان ويصدق لا رجال فى الدار ومن هذا يعرف لطف ما يحكيه تعالى عن زكريا عليه

رب انى وهن العظم منى دون وهن العظام حيث توصل باختصار اللفظ الى

الاطناب فى معناه واذا عرفت هذا فنقول متى قلنا زيد المنطلق او المنطلق زيد

فى المقام الخطابى لزم ان لا يكون غير زيدٍ منطلقاً ولذلك ينهى ان يقال زيد المنطلق

وعمرو بالواو ولا ينبغي ان يقال زيد المنطلق لا عمرو وعرف لا ثم اذا كان الامر في نفسه

كذلك كما اذا قلت الله العالم الذات حمل على الانحصار حقيقة والا كما في قولك

حاتم الجواد وخالد الشجاع وقوله ذلك الكتاب حمل على الانحصار مبالغة

وتنزيلا لجود غير الحاتم وشجاعة غير خالد وكون غير القرآن كتابا منزلة العدم

لجهات اعتبارية اما الحالة المقتضية لكونه جملة فهي اذا اريد تقوي الحكم بنفس التركيب

كقولك انا عرفت وانت عرفت وهو عرف او زيد عرف كما سياتيك تقديره هذا

المعنى وقولك بكر يشكرك ان تعطه او بكر ان تعطه يشكرك لما عرفت ان الجملة

الشرطية ليست الا جملة خبرية مقيدة بقيد مخصوص وكقولك خالد في الدار

او اذا كان المسند سببيا وهو ان يكون مفهومه مع الحكم عليه بالثبوت لما هو

مبني عليه او بالانتفاء عليه مطلوب التعليق بغير ما هو مبني عليه تعليق اثبات له

نوع ما او نفي عنه بنوع ما كقولك زيد ابوه انطلق او منطلق والبر الكر منه

بستين او يكون المسند فعلا يستدعي الاسناد الى ما بعده بالاثبات او بالنفي

فيطلب تعليقه على ما قبله بنوع اثبات او نفي لكون ما بعده بسبب مما قبله نحو

عمرو ضرب اخوه لا شيئا متصلا بالفعل نحو زيد ضارب اخوه او مضروب

32

اوكريم لستر يطلقك عليه وما ذكرت لك اذا حققت مضمونه اعثرك على وجه

حكم النحويين رحمهم الله لابدّ في الجملة الواقعة خبرًا من ذكر يرجع الى المسند

اليه لفظًا او تقديرًا واعثرك على ان الجملة بعد ضمير الشان في نحو هو زيد منطلق

او انه زيد منطلق مستثنات عن هذا الحكم لكونها نفس المخبر عنه او اعثرك على وجه

نيابة تعريف الجنس عن الضمير في نعم الرجل زيد على قول من يرى المخصوص

مبتداءً ونعم الرجل خبره ونيابة العموم عنه في مثل ان الذين امنوا وعملوا

الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملاً اما الحالة المقتضية لكون الجملة

فعلية فهي اذا كان المراد التجدد كقولك زيد انطلق او ينطلق فالفعل موضوع

لافادة التجدد ودخول الزمان الذي من شانه التغير في مفهومه موذن بذلك

اما الحالة المقتضية لكونها اسمية فهي اذا كان المراد خلاف التجدد والتغير

كقولك زيد ابوه منطلق فالاسم ان دلّ على التجدد لم يدلّ عليه الا بالعرض

وما تسمع من تفاوت الجملتين الفعلية والاسمية تجددًا وثبوتًا هو يطلعك

على انه حين ادّعى المنافقون الايمان بقولهم امنّا بالله وباليوم الآخر جائين

جملة فعلية على معنى احدثنا الدخول في الايمان واعرضنا عن الكفر ليروج ذلك

عنهم كيف طبق الفصل في ردّ دعواهم الكاذبة قوله تعالى وما هم بمؤمنين

حيث جيء بجملة اسمية ومع الباء وعلى تفاوت كلام المنافقين مع المؤمنين

ومع شياطينهم قالوا انا معكم تفاوتاً الى جملة فعلية وهي امنا والى اسمية مع ان

وهي انا معكم انما كيف اصاب شاكلة الرمي وعلى ان ابراهيم حين اجاب الملائكة

عليهم عن قولهم له سلاما بالنصب بقوله لهم سلام بالرفع كيف كان عاملاً

بالذي يتلى عليك في القران المجيد من قوله واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها

اما الحالة المقتضية لكونها شرطية فستقف عليها في موضعها واما الحالة المقتضية

لكونها ظرفية فهي اذا كان المراد اختصار الفعلية كقولك زيد في الدار بدل

استقر فيها او حصل فيها على اقوى الاحتمالين على ما تقدم ويظهر لك من هذا

ان مرجع الجمل الاربع الى ثنتين اسميه وفعليه اما الحالة المقتضية لتاخير المسند

فهي متى كان ذكر المسند اليه اهم كما مضى في فن المسند اليه واياك ان تظن بكون

الحكم على المسند اليه مطلوباً استيجاب صدر الكلام له فليس هو هناك فلا تغفل

اما الحالة المقتضية لتقديمه فهي اذا كان يكون متضمنا للاستفهام كنحو كيف

زيد واين زيد عمرو ومتى الجواب والقانون الثاني موضع تقرير اواة

33

او ان يكون المراد تخصيصه بالمسند اليه كقوله تع لكم دينكم ولى دين وقولك
لمن يقول زيدا اما قاعد واما قايم فيردده بين القيام والقعود من غير ان تخصصه
باحدهما قايم هو وقولهم تميمى انا وارد على هذا وسياتيك هذا المعنى فى فصل القصر
كلام او ان يكون المراد التنبيه على انه خبر لا نعت كقولها تحت راسى سرج وعلى ابيه
درع وقوله هِمَمٌ لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى اجلّ من الدهر وقولها حَلَقٌ
ضيقٌ لو ان وضينه فؤادك لم يخطر بقلبك هاجس وكقوله لكل جديدٍ لذة غير انّنى
وجدت جديد الموت غير لذيذ وقولهم عند الملوك مضرة ومنافع وارى البرامك
لا تضر وتنفع وقولها اغرّ ابلج يأتم الهداة به كانه علم فى راسه نار وقوله تع ولكم
فى الارض مستقرٌ ومتاعٌ الى حين وما شاكل ذلك فان النعت لا يقدم على المنعوت
ولذلك يقال جاءنى راكبًا رجل وانما يصار الى هذا التنبيه لان الظرف بتاخره عن المنكر
يكون بالحمل على الوصف اولى منه بالحمل على الخبر لامرين يتعاضدان فى ذلك استدعاء المنكر
فى مقام الابتداء ان يوصف ليتقوى بذلك فائدة الحكم كما سبق فى الفن الثانى وصلاحية
الظرف ان يكون من صفاته ولذلك لا يجب تقديم الظرف على المنكر اذا كان موصوفًا
قال الله تعالى واجلٌ مسمىً عنده وان هذا التقديم ملتزم مع مبتداءٍ غير مصدرٍ امّا مع المصدر

كنحو سلام عليكم وويل له فلا فرقا بين ظرف له حق في التاخير عن مبتدائه
ذلك قبل صيرورته مبتداءً وذلك قولك سلام عليك بالنصب منزلاً
منزله اسلم عليك مفيدا التجدد كذلك وبين ظرف ليس له ذلك او ان يكون
قلب السامع معقودًا به كقولك قد حل خصمك لمن يتوقع ذلك اولانه
صالح للتفاؤل اولانه اهم عند القائل كما اذا قلت عليه من الرحمن ما يستحقه
او كقوله سلام الله يا سطر عليها وليس عليك يا سطر السلام وقوله وليس
بمغنٍ في المودة شافعٌ اذا لم يكن بين الضلوع شفيع او ان يكون المراد بتقديمه
نوع تشويقٍ الى ذكر المسند اليه كقوله ثلثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى
وابو اسحق والقمر وقوله وكالنار الحيوة فمن رمادٍ اواخرها واولها دخان
وحق هذا الاعتبار تطويل الكلام في المسند والا لم يحسن ذلك الحسن او ان يكون
المراد بالجملة افادة التجدد دون الثبوت فيجعل المسند فعلاً ويقدم البتة على ما
يسند اليه في الدرجة الاولى وقولي في الدرجة الاولى احتراز عن نحو انا عرفت
وانت عرفت وزيد عرف فان الفعل فيه يستند الى ما بعده من الضمير ابتداءً
ثم بوساطة عود ذلك الضمير الى ما قبله يستند اليه في الدرجة الثانية واذا

واذا سلكت هذه الطريقة سلكت باعتبارين مختلفين احدهما ان يجرى الكلام
على الظاهر وهو انا مبتدا، وعرفت خبره ولذلك انت عرفت وهو عرف ولا نقدير
تقديم ولا تاخير كما اذا قلنا زيد عارف او زيد عرف اللهم الا في اللفظ وثانيهما
ان يقدر اصل النظم عرفت وعرفت انت وعرف هو ثم يقال قدم انا وانت
وهو فنظم الكلام بالاعتبار الاول لا يفيد الا تقوى الحكم وسبب تقويه هو ان المبتدا
لكونه مبتدا يستدعى ان يسند اليه شئ فاذا جاء بعده ما يصلح ان يسند اليه صرفه
المبتدا الى نفسه فينعقد بينهما حكم سواء كان خاليا عن ضمير المبتدا نحو زيد غلامك
او كان متضمنا له نحو انا عرفت وانت عرفت وهو عرف او زيد عرف ثم اذا كان متضمنا
لضمير صرفه ذلك الضمير الى المبتدا ثانيا فيكتسى الحكم قوة فاذا قلت هو يعطى الجزيل كان
المراد تحقيق اعطائه الجزيل عند السامع دون تخصيص اعطاء الجزيل به وعليه قوله
تعالى واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ليس المراد ان شيئا سواهم
لا يخلق انما المراد تحقيق انهم يخلقون وقوله تعالى ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو
يتولى الصالحين وقوله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون
وقوله تعالى واذا جاؤكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وكذلك اذا قلت

انت لا تكذب كان اقوى للحكم بنفي الكذب عن المخاطب من قولك لا تكذب من غير شبهة
ومن قولك لا تكذب انت فان انت هنا لتاكيد المحكوم عليه بنفي الكذب عنه بانه هو لا غيره
لا لتاكيد الحكم فتدبر وعليه قوله تع والذين هم بربهم لا يشركون وقوله تع لقد حق القول
على اكثرهم فهم لا يؤمنون وقوله تع فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون وقوله تع
ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ويقرب من قبيل انا عرفت وانت
عرفت وهو عرف في اعتبار تقوى الحكم زيد عارف وانما قلت يقرب دون ان اقول
نظير لانه لما لم يتفاوت في الحكاية والخطاب والغيبة في انا عارف وانت عارف وهو
عارف اشبه الخالي عن الضمير ولذلك لم يحكم على عارف بانه جملة ولا عومل معاملتها
في البناء حيث اعرب في نحو رجل عارف رجلا عارفا رجل عارف كما عرف في علم النحو
واتبعه في حكم الافراد نحو زيد عارف ابوه وبالاعتبار الثاني يفيد التخصيص قال الله تع
ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم المراد لا يعلمهم الا الله ولا يطلع
على اسرارهم غيره لابطانهم الكفر في سويداوات قلوبهم وسياتيك بيانه في فصل التقديم
والتاخير ونظير قولنا انا عرفت في اعتبار الابتداء لكن على سبيل القطع قولك زيد
عرفت او عرفته وفي اعتبار التقديم في زيدا عرفت الرفع يفيد تحقيق انك عرفت

38

زيدًا والنصب يفيد انك خصصت زيدا بالعرفان واما زيدًا عرفته فانت بالخيار
ان شئت قدرت قبل المفسر المنصوب على نحو عرفت زيدا عرفته وحملته على باب
التاكيد وان شئت قدرته بعده على نحو زيدًا عرفت عرفته وحملته على باب التخصيص
وعلى امّا نحو قوله تع واما ثمود فهديناهم فيمن قراء بالنصب فليس الا التخصيص لامتناع
اما فهدينا ثمود واما نحو زيد عرف ورجل عرف فليسا من قبيل هو عرف في احتمال
الاعتبارين على السوائل حق المعرفة حمل على وجه تقوى الحكم وحق المنكر حمله
على وجه التخصيص وانما افترق الحكم بين الصور الثلاث لانا اذا قلنا عرف هو
لم يكن هو فاعلا لما عرف في علم النحو ان ضمير الفاعل لا ينفصل الا اذا اجرى الفعل
على غير ما هو له في موضع الالتباس او اذا تقدم عليه الا صورة كنحو ما ضرب الا
الا هو او معنى كنحو انما يدافع عنك انا اذ المعنى لا يدافع عنك الا انا واذا لم يكن هو
فاعلا احتمل التقدم على الفعل فاقلنا هو عرف كان له ذلك الاحتمال مع احتمال
الابتداء لكونه في موضعه وكونه مع ذلك على شرطه في قوة الفاترة بالاخبار عنه
وهو تعرفه فاذا قلنا عرف زيد كان زيد مرفوعًا بعرف لقلة نظائر واسرار النحوى
الذي لا يكون له احتمال التقدير على الفعل كما سبق في علم النحو فلا يكون

لقولنا زيد عرف غير الاحتمال الابتداء اللهم الا بذلك الوجه البعيد فلا يرتكب

عند المعرف لكونه على شرط المبتداء وانما يرتكب عند المنكر لفوات الشرط اذ الم يمنع

عن التخصيص مانع كما اذا قلت رجل جاء لصحة ان يراد الجائي رجل لا امرأة

ايها السامع دون قولهم شر اهر ذا ناب لامتناع ان يراد المهر لذى باشرة

لاخير اللهم الا اذا حملت التخصيص على وجه آخر وهو الافراد على تقدير رجل

جاء لا رجلان فانه محمل يصار اليه كثيرا عند علماء هذا النوع وشر اهر ذا ناب

لا شران لكن بهذا الوجه يكون نائيا عن مظان استعماله واذ قد صرح الائمة رحمهم الله

بتخصيصه حيث تأولوه بما اهر ذا ناب الا شر فالوجه تفظيع شان الشر بتنكيره

كما سبق فهو محز ولما عرفت من ان بناء الفعل على المبتداء اقوى للحكم تراهم اذا

استعملوا لفظ المثل او لفظ الغير بطريق الكناية نحو مثلك لا يبخل بمعنى انت لا تبخل

وغيرك لا يجود بمعنى انت تجود من ارادة التعريض بلفظي المثل والغير على انسانين

بقصد اليهما لا يكادون يتركون تقديمهما لكونه اعون للمعنى المراد بهما اذ ذاك

وتحقيق هذا في علم البيان فصـــل واعلم ان للفعل ولما يتعلق به اعتبارات

متعلقات الفعل

مجموعها راجع الى الترك والاثبات والاظهار والاضمار والتقديم والتاخير

فلابد من التكلم هناك ومن التكلم على الخصوص في تقييده اعني الفعل بالقيود
الشرطيه فنقول اما الترك فلا يتوجه الى فاعله فقط كما عرف في علم النحو وانما يتوجه
الى نفس الفعل والى غير الفاعل لكنه لا يتضح اتضاحا ظاهرا الا في المفعول به
كما ستقف عليه اما الحالة المقتضية لترك الفعل فهي ان تغني قراين الاحوال عن ذكره
ويكون المطلوب هو الاختصار او اتباع الاستعمال الوارد على تركه كما اذا اردت
ضرب المثل بقولهم الاحظية فلا اليه او بقولهم لو ذات سوار لطمتني او غير ذلك
مما هو مصبوب في هذا القالب او على ترك نظايره كما اذا قلت ان زيدا جاء ولو عمرو
وتلك القراين كثيرة وانا اضبط لك منها هنا ما تستعين به على درك ما عسى يشذ
عن الضبط فاقول والله الموفق للصواب منها ان يكون مفسرا كنحو ان ذو لوثة
لانا ولو ذات سوار لطمتني وهلا ابوك حضر واذا السماء انشقت وبحوار زيد ذهب
او ذهب به او ذهب اخوه ونحو فاياي فارهبون كما سبق التعرض له في علم النحو
ومنها ان يكون هناك حرف اضافه فان حروف الاضافه لوضعها على ان تفضي بمعاني
الافعال الى الاسماء لا تنفك عن الافعال الا ان دلالتها لا تتخطى الفعل المطلق فاذا اريد
تقييده احتيج الى دلالة اخرى ثم هي تتفاوت فتارة تكون الشروع فيه كما اذا قلت

عند الشروع في القيام والقعود او اي فعل كان فانه نعيد ذلك وتارة تكون الاقتران

كقولك لمن اعرس بالرفاء والبنين او لمن فوض اليك ان تختار اليك الاختيار فانه يفيد

بالرفاء اعرست واليك يفوض وتارة تكون عموم الاستعمال كنحو في الدار او في البلد

او في كذا فانه لا يراد الا معنى الحصول وتارة تكون غير ذلك من مقيدات الاحوال

فقس ومنها ان يكون الكلام جوابا لسوال واقع نحو ان يسمع منك يكتب القران لي

فتسال من يكتبه فتقول زيد فيكون الحال مغنية عن ذكر يكتب وعليه قوله تعالى ولئن

سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولئن سالتهم من نزل من السما

ماء فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله او جوابا لسوال مقدر مثل ان تقول

يكتب القران لي زيد وعليه بيت الكتاب ليبك يزيد ضارع لخصومة وقراءة

من قرا يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال وكذلك يوحي اليك ربك بنا

الفعل للمفعول في البيت وفي الايتين ومن البناء على السوال المقدر ارتفاع المخصوص

في باب نعم وبئس على احد القولين وعسى ان يتعرض في فصل الايجاز والاطناب

لهذا الباب وان هذا التركيب متى وقع موقعه رفع شان الكلام في باب البلاغة

الى حيث يناطح السماك وموقعه ان يصل من يبلغ عالم من بجهات البلاغة بصير

بمقتضيات الاحوال ساحر فى اقتضاب الكلام ماهر فى افانين السحر الى بليغ مثله
مطلع من كل تركيب على حاق معناه وفصوص مستتبعاته فان جوهر الكلام البليغ مثله
مثل الدرر الثمينه لاترى درجلها تعلو ولا قيمتها تغلو ولا يشترى بثمنها ولا يجرى فى
مساوتها على سننها ما لم يكن المستخرج لها بصيرا بشانها والراغب فيها خبيرا بمكانها
وثمن الكلام ان يوفى من ابلغ الاصغاء واحسن الاستماع حقه وان يتلقى من القبول له
والاهتزاز باكمل ما استحقه ولا يقع ذاك ما لم يكن السامع عالما بجهات حسن الكلام
ومعتقدا بان المتكلم تعمدها فى تركيبه للكلام عن علم منه فان السامع اذا جهلها لم يميز
بينه وبين ماد ونه وربما انكره وكذلك اذا اساء بالمتكلم اعتقاده ربما نسبه فى تركيبه
ذاك الى الخطاء وانزل كلامه منزلة ما يليق به من الدرجه النازلة ومما يشهد لك بهذا
ما يروى عن على كرم الله وجهه انه كان يشيع جنازه فقال له قائل من المتوفى بلفظ اسم
الفاعل سائلا عن المتوفى فلم يقل فلان بل قال الله رد الكلام عليه مخطئا اياه منبها له
بذلك على انه كان يجب ان يقول من المتوفى بلفظ اسم المفعول ويقال ان هذا الواقع
كان احد الاسباب التى دعته الى استخراج علم النحو فامر ابا الاسود الدئلى بذلك فاخذ
فيه فهو اول ائمة علم النحو رضوان الله عليهم اجمعين وما فعل ذلك الا لانه عرف من السائل

انه ما اورد لفظ المتوفى على الوجه الذى يكسوه جزالة فى المعنى وفخامة فى الايراد
وهو وجه القرآة المنسوبة اليه والذين يتقون منكم ويذرون ازواجا بلفظ بناء
الفعل للفاعل من ارادة معنى والذين يستوفون مدد اعمارهم واذا عرفت هذا فنقول
فى التركيب الذى نحن فيه من مثل يكتب القران لى زيد برفع زيد مع بناء الفعل للمفعول
جهات للحسن ومزايا نتلوها عليك لتكون لك ذريعة الى درك ما سواها اذا شحذ نابها
بصيرتك منها ان الكلام متى نسج على هذا المنوال ناب مناب الجمل الثلاث احديها
يكتب القران لى والثانيه الجملة المدلول عليها بزيد وهى من يكتبه والثالثه زيد مع
الرافع المقدر وهى يكتبه زيد بخلافه اذا قيل يكتب القران لى زيد بلفظ المبنى للفاعل
ولا شبهة ان الكلام متى كان اجمع للفوائد كان ابلغ ومنها ان الكلام متى سيق هذا
المساق كان كل واحد من لفظى القران وزيد مقصودا اليه فى الذكر غير مستغنى عنه
بخلافه فى التركيب الاخر فان لفظ القران فيه يعد فضله والتقريب ظاهر ومنها ان الكلام
متى سلك به هذا المسلك لم يكن اوله مطمعا فى ذكر الكاتب فاذا وردت السامع
فائدة ذكره كانت حاله لمن يتيسر له غنيمة من حيث لا يحتسب بخلافه فى
النظم الاخر ومنها ان الكلام على ذلك النظم يكون كالمتناقض من حيث

الظاهر لان كون القران فصلا فيه يكون موذنا بان مساس الحاجة اليه دون مساس

الحاجة الى الفاعل وكونه مقدما فيه على الفاعل يكون موذنا بالاعتناء بشانه و ان

مساس الحاجة اليه فوق مساس الحاجة الى ما اخر بخلافه فى هذا النظم فانه يكون

سليما عن ذلك وفى هذا الوجه نظر يذكر فى الحواشى ومنها ان الكلام فى التركيب

ان الكلام الذى نحن فيه يفيد اسنادا لكتبه الى الفاعل اجمالا اولا وتفصيلا ثانيا وفى

وفى غيره يفيد اسنادها اليه من وجه واحد فيكون هذا التركيب ابلغ ومن تسهيل

ما نحن بصدده قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فالله شركاهما مفعولا جعلوا وانتصاب

الجن بفعل مضمر دل عليه السؤال المقدر وهو من جعلوا شركاء اما الحالة المقتضية

لاثبات الفعل فاشتمال المقام على جهة من جهات الاستدعاء له واللفظ بر مما

نبهت على امثالها غير مرة اما الحالة المقتضية لترك مفعوله فهى القصد الى التعميم

والامتناع عن ان يقصر السامع على ما يذكر معه دون غيره مع الاختصار وانه

احد انواع سحر الكلام حيث يتوصل بتقليل اللفظ الى تكثير المعنى كقولهم فى باب المبالغة

فلان ان يعطى ويمنع ويصل ويقطع ويبنى ويهدم ويغنى ويعدم وقوله تعالى والله

يدعوا الى دار السلام او القصد الى نفس الفعل بتنزيل المتعدى منزلة اللازم ذهابا

فى نحو فلان يعطى الى معنى يفعل الاعطاء وتوجد هذه الحقيقة ايهاما للمبالغة بالطريق

المذكور فى افادة اللام للاستغراق وعليه قوله تع فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون

المعنى وانتم من اهل العلم والمعرفة او القصد الى مجرد الاختصار لنيابة قرائن الاحوال

عن ذكره كقوله تع اهذا الذى بعث الله رسولا اذ لا تلبس ان المراد اهذا الذى بعثه الله

رسولا لاستدعاء الموصول الراجع اليه من الصلة وقوله تع ارنى انظر اليك لانفتاح

ان المراد ارنى ذاتك وقوله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس

يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى

يصدر الرعاء لانصباب الكلام الى ارادة يسقون مواشيهم وتذودان عنهما

ولا نسقى غنمنا حتى يصدر الرعاء مواشيهم وقوله تع فلو شاء لهديكم

اجمعين لظهور ان المراد لو شاء هدايتكم لهديكم ولك ان تنظم قوله تع فلا تجعلوا لله

اندادا وانتم تعلمون فى هذا السلك على تقدير وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون

ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله هل من

شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ واكثر فواصل القرآن من نحو يعلمون يعقلون

يفقهون واردة على ما سمعت من الاحتمالين وقول الشاعر اذا شاء طالع مسجورة

يرى حولها النبع والبشاما وقوله فان يثبت لهم ترقل وان شئت ارقلت مخافة

ملوي من القد محصد وقوله لو شئت عدت بلاد نجد عودة فحللت بين

عقيبه وزروده او الرعاية على الفاصلة كنحو والضحى والليل اذا سجى ما ودعك

ربك وما قلى او استهجان ذكره كقول عايشة رضي الله عنها ما رايت منه ولا راى مني

يعني العورة او القصد الى اعتبار غير ذلك من الاعتبارات المناسبة للترك اما الحالة

المقتضية لاثباته فعراء المقام عما ذكر او القصد الى تقريره زيادة وبسط الكلام بذكره

او الرعاية على الفاصلة كقوله تع والشمس وضحيها والقمر اذا تليها وما شاكل

ذلك من الجهات المعتبرة في باب الاثبات اما الحالة المقتضية لاضمار فاعله فهي

كون المقام حكاية او خطابا كقولك عرفت وعرفت او كون الفاعل مسبوقا بالذكر

كقولك جاءني رجل فطلب مني كذا او في حكم المسبوق به كنحو قوله في مطلع القصيدة

زادت عليها للظلام رواق ومن النجوم قلائد ونطاق وقوله في الافتتاح قالت

ولم يقصد لقيل الحمام هلا فقد ابلغت اسماعي اما الحالة المقتضية لكونه مظهرا

فهي كون المقام غير ما ذكر او كونه مستدعيا زيادة التعيين والتمييز كقولك جاءني

رجل فقال ذلك الرجل كذا او مستدعيا للالتفات كقول الخلفاء يرسم امير المؤمنين

كذا مكان انا ارسم كذا واما اعتبار التقديم والتاخير مع الفعل فعلى ثلاثة انواع

احدها ان تقع بين الفعل وبين ما هو فاعل معنى كنحو انا عرفت وانت عرفت وهو عرف

دون زيد عرف وثانيها ان تقع بينه وبين غيره ذلك كنحو زيدًا عرفت ودرهمًا اعطيت

وعمروًا منطلقًا علمت وثالثها ان تقع بين ما يتصل به كنحو عرف زيد عمروًا وعرف عمرًا

زيد وعلمت زيدا منطلقا وعلمت منطلقا زيدًا وكسوت عمرًا جبة وجبة عمرًا ولكل

من ذلك حالة تقتضيه فالحالة المقتضية للنوع الاول هي ان يكون هناك وجود

فعل وعالم به لكنه مخطي في فاعله او في تفصيله وانت تقصد ان ترده الى الصواب

كما تقول انا سعيت في حاجتك انا كفيت مهمك تريد دعوى الانفراد بذلك وتقرير

الاستبداد به وترد بذلك على من زعم ان ذلك كان من غيرك او ان غيرك فعل فيه

ما فعلت ولذلك اذا اردت التاكيد قلت للزاعم في الوجه الاول انا كفيت مهمك

لا عمرا ولا غيري وفي الوجه الثاني انا كفيت مهمك وحدي وقولهم في المثل اتعلمني

بضب انا حرشته شاهد صدق على ما ذكر عند من له ذوق وليس اذا قلت سعيت

في حاجتك او سعيت انا في حاجتك يجب ان يكون ان عند السامع وجود سعي في

حاجتك حاجته قد وقع خطاء منه في موجده او تفصيله فتقصد ازالة الخطاء

الخطاء بل اذا قلته ابتداء مفيدا اياه وجود السعي في حاجته منك غير مشوب تجوز

او سهو او نسيان صح ومنه ما يحكيه علت كلمته عن قوم شعيب وما انت علينا بعزيز

اى العزيز علينا يا شعيب رهطك لا انت لكونهم من اهل ديننا ولذلك قال عليه

في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله اى من نبي الله ولو انهم كانوا قالوا وما عززت

علينا لم يصح هذا الجواب ولا طابق ولذلك ينهى ان يقال في النفي عند التقديم ما انا

سعيت في حاجتك ولا احد سواى لاستلزامه ان يكون سعى في حاجته

غيرك لا انت وان لا يكون سعى في حاجته غيرك لا انت ولا ينهى ان يقال

ما سعيت في حاجتك ولا احد غيرى وكذلك اذا كررت فقلت ما سعيت

انا في حاجتك ولا احد غيرى ولذلك ايضا يستهجن ان يقال في النفي

عند التقديم ما انا رايت كل احدا احد من الناس لاستلزامه ان يكون

قد اعتقد فيك معتقد انك رايت كل احد في الدنيا فنفيت ان تكون

اياه ولم يستهجن ان يقال ما رايت احدا من الناس او ما رايت انا احدا

من الناس ويحترز عن ان يقال عند التقديم ما انا رايت ضربت الا زيدا

لان نقض النفي بالا يقتضى ان يكون ضربت زيدا وتقديمك ضميرك

وايلاؤه حرف النفي يقتضي نفي ان يكون ضربته ولا تحترز عن ان يقال ما ضربت الا زيدًا

والحالة المقتضية للنوع الثاني ان يكون هناك من اعتقد انك عرفت انسانا واصاب

لكن اخطاء فاعتقد ذلك الانسان غير زيد وانت تقصد ردّه الى الصواب فتقول

زيدًا عرفت واذا قصدت التوكيد والتقرير قلت زيدًا عرفت لا غيره ولذلك نهوا

ان يقال ما زيدا ضربت ولا احدا من الناس نهيهم ان يقال ما انا ضربت زيدًا

ولا احد غيري والنهي الواقع مقصور على الحالة المذكورة اما اذا ظن بك القائل ظنًا

فاسدًا انك تعتقد قد ضرب عمرًا او انك تعتقد كون زيد مضروبا ثم قال لك مبيّنا

في الصورة الاولى زيدا ضربت وفي الثانية انا ضربت زيدًا فيصح منك ان تقول

ما زيدًا ضربت ولا احدًا من الناس او ما انت ضربت زيدًا ولا احد غيرك فتامل

فالفرق واضح وكذلك امتنعوا ان يقال ما زيدا ضربت ولكن اكرمته فتعقب

الفعل المنفي باثبات فعل هو ضده لان مبنى الكلام ليس على ان الخطاء وقع في الضرب

فترده الى الصواب في الاكرام وانما مبناه على ان الخطا وقع في المضروب حين اعتقد

زيدًا فرده الى الصواب ان تقول ولكن عمرًا وكذلك اذا قلت بزيد مررت افاد

ان سامعك كان يعتقد مرورك بغير زيد فازلت عنه الخطاء مخصصًا مرورك بزيد

بزيد دون غيره والتخصيص لازم للتقديم ولذلك تسمع ائمة علم المعاني في معنى
اياك نعبد واياك نستعين يقولون نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك ونخصك
بالاستعانة منك لا نستعين احدًا سواك وفي معنى ان كنتم اياه تعبدون يقولون
ان كنتم تخصونه بالعبادة وفي معنى قوله وبالاخرة هم يوقنون يذهب الى انه
تعريض بان الاخرة التي عليها اهل الكتاب فيما يقولون انها لا يدخل الجنة
فيها الا من كان هودًا او نصارى وانها لا يمسهم النار فيها الا اياما معدودات
وان اهل الجنة فيها لا يتلذذون في الجنة الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع
اللذيذ ليست بالاخرة وايقانهم بمثلها ليس من الايقان بالتي هي الاخرة عند الله
في شيء وستعرف التعريض في علم البيان وفي قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدًا يقولون اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت
ثانيا لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الاخر اختصاصهم بكون
الرسول شهيدًا عليهم وفي قوله لالى الله تحشرون يقولون اليه لا الى غيره
وتراهم في قوله وارسلناك للناس رسولا يحملون تعريف الناس على الاستغراق
ويقولون المعنى لجميع الناس رسولا وهم العرب والعجم لا للعرب وحدهم دون

ان تحملوه على تعريف العهد او تعريف الجنس لئلا يلزم من الاول اختصاصه ببعض

الانس لوقوعه فى مقابلة كلاهم ومن الثانى اختصاصه بالانس دون الجن ولافادة

التقديم عندهم التخصيص تراهم يفزعون على التقديم ما يفزعون على نفس التخصيص

فكما اذا قيل ما ضربت اكبر اخويك فتذهبون الى انه ينبغى ان يكون ضاربا للاصغر

بدليل الخطاب تذهبون ايضا اذا قيل ما زيدا ضربت الى انه ينبغى ان يكون

ضاربا لانسان سواه ولذلك تمتنعون ان يقال ما زيدا ضربت ولا احدا

من الناس ولا يمتنعون ان يقال ما ضربت زيدا ولا احدا من الناس وتسمعهم

فى قوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون يقولون قدم الظرف تعريضا

بخمور الدنيا وان المعنى هى على الخصوص لا تغتال العقول اغتيال خمور الدنيا و

يقولون فى قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه يمتنع تقديم الظرف على اسم لا لانه

اذا قدم افاد تخصيص نفى الريب بالقرآن ويرجع دليل خطاب على ان ريبا

فى ساير كتب الله وعلى هذا متى قلت اذا خلوت قرأت القرآن افاد تقديم الظرف

اختصاص قراءتك به ورجع الى معنى لا اقرأ الا اذا خلوت فافهم وانما لزم

التقديم استدعاء الحكم ثبوتا ونفيا حتى قامت الجملة فى نحو انا ضربت زيدا مقام

ضربت زيدًا ولم يضربه غيري وفي نحو ما زيدا ضربت مقام ما ضربت زيدًا وضربت
غيري وغيره وفي نحو اذا خلوت قرات القران مقام اقرا القران اذا خلوت ولا اقرا
اذا لم اخل لما عرفت ان حالة التقديم هو ان ترى سامعك يعتقد وقوع فعل وهو
وهو مصيب في ذلك لكنه مخطي في الفاعل او المفعول او غير ذلك من مقيدات الفعل
وانت تقصد رده الى الصواب فاذا نفيت من كان اعتقده من الفاعل او المفعول
او غيرهما من مقيدات الفعل نحو استدعى المقام غير ذلك فيجمع لذلك نفيك للمنفي مع الاثبات
لمن سواه واذا اثبت غير من كان اعتقده استدعى المقام نفي من اعتقده لكونه خطاء
فيجتمع اثباتك للمثبت مع النفي للمنفي ويفيد التقديم في جميع ذلك وراء ما سمعت نوع
اهتمام بشان المقدم فعلى المومن في بسم الله اذا اراد تقدير الفعل معه ان يوخر
الفعل على نحو بسم الله اقرا او اكتب وكاني بك تقول فما بال اقرا باسم ربك مقدم
الفعل على المفعول وان كلام الله احق برعاية ما يجب رعايته فالوجه فيه عندي
ان يحمل اقرا على معنى افعل القراءة واوجدها على نحو ما تقدم في قولهم فلان يعطي
ويمنع في احدى الوجهين غير معدى الى مقرو به وان يكون باسم ربك مفعول اقراء
الذي بعده والحالة المقتضية للنوع الثالث هي كون العناية بما تقدم اتم وايراده في الذكر

اهم والعناية التامة بتقديم ما يقدم والاهتمام بشانه نوعان احدهما ان يكون

اصل الكلام في ذلك هو التقديم ولا يكون في مقتضى الحال ما يدعوا الى العدول

عنه كالمبتداء المعرف فان اصله التقديم على الخبر نحو زيد عارف وكذى الحال

المعرف فاصله التقديم على الحال نحو جاء زيد راكبًا وكالعامل فاصله التقديم

على معموله نحو عرف زيد عمرًا وكان زيد عارفًا وان زيدا عارف ومن زيد وغلام

عمرو وكالفاعل فاصله التقديم على المفاعيل المفعولات وما يشبهها من الحال والتميز

نحو ضرب زيد الجاني بالسوط يوم الجمعه امام بكر ضربًا شديدًا تاديبًا له ممتليا

من الغضب وامتلاء الاناء ماء وكالذي يكون في حكم المبتداء من مفعولي باب

علمت نحو علمت زيدًا منطلقا او في حكم فاعل من مفعولي باب اعطيت زيدًا درهمًا

وكسوت عمرًا جبة فزيد عاط وعمرو مكتس نحتهما التقديم على غيرهما وكالمفعول

المتعدي اليه بغير وساطة فاصله التقديم على المتعدي اليه بوساطة نحو ضربت

الجاني بالسوط وكالتوابع فاصلها ان تذكر مع المتبوع فلا تقدم عليها غيرها

نحو جاء في زيد الطويل راكبا وعرفت انا زيدًا وكذلك عرفت انا وفلان زيدًا

وغيره ذلك مما عرف له في علم النحو موضع من الكلام بوصف الاصالة بالاطلاق

وكسوت نحو اعطيت

بالاطلاق وثانيهما ان يكون العناية بتقديمه والاهتمام بشانه لكونه في نفسه
نُصبَ عينك وان التفاوت الخاطر اليه في التزايد كما تجدك اذا واري قناع
الهجر وجه من روحك في خدمته وقيل لك ما الذي تتمنى تقول وجه الحبيب
اتمنى فتقدمها او كما تجدك اذا قال لك احد عرفت شركاء لله يقف شوقك وتقول
الله شركاء وعليه قوله تعـ وجعلوا الله شركاء او لعارض يورثه ذلك كما اذا
اخذت في الحديث وتوهمت لقراين الاحوال من انت معه في الحديث ملتفت
الخاطر الى معنى منتظر من مساق الحديث الماسك به فيبرز ذلك المعنى عندك
في معرض امر يتجدد في شانه الاقتضاء لذكره التقاضي ساعة فساعة فكما تجد له
مجالاً في الذكر صالحاً لا تسوف ان تذكره مثل ما قد تقول لصاحبك اعجبتني المسئلة
الفلانية من كتابك وتاخذ في نكت وذبت وله كتاب اخر فيه مسائل فتحدس
ان كتابه الاخر واقع الآن في ذهنه وهو كالمنتظر هل تورده في الذكر فتقول
واعجبني من كتابك الاخر المسئلة الفلانية فتقدم المجرور على المرفوع او كما اذا وعدت
ما انت مستبعد وقوعه فانك حال التفاوت خاطرك الى وقوعه من جهة
تبعده ومن جهة اخرى ادخل في تبعيده تجد تفاوتاً في انكاره اياه ضعفاً وقوةً

بالنسبة ولامتناع انكاره بدون القصد اليه يستتبع تفاوته ذالك تفاوتًا
فى القصد اليه والاعتناء بذكره فانت فى الاول اذا انكرت اوجبت البلاغة
ان تقول شى حالة فى البعد من الوقوع هذه انى يكون لقد وعدت انا وابى وجدى
هذا ان هو الامن اختراعات المموهين واصحاب التلبيس فتذكر المنكر بعد المرفوع
فى موضعه من الكلام وان تقول فى الثانى شىء حاله فى البعد من الوقوع الى هذه
الغاية على من يروج لقد وعدت هذا انا وابى وجدى فتقدم المنكر على المرفوع
او اذا عرفت فى التاخير سانغا مثل الذى فى قولك رايت الجماعة من محبيك التى
نائت ثم دنت اذا قدمت من محبيك افاد ان الجماعة المرئية جماعة من محبيك من غير
شبهة وهو مرادك واذا اخرت اورث الاشتباه لاحتمال ان يكون من محبيك
صلة دنت او مثل الذى فى قولك الحمد لله الذى بعث بالحق عيسى وايد بهرون موسى
اذا اخرت المجرور بطل السجع ولهذا العارض متاشى يتفاوت جلاء وخفاء
لطيفا والطف والخواطر فى مضمارها تتباين فمن ضليع لايشق غباره ومن ظالع لايوءمن
عثاره وليس السبق هناك بمجرد الكد بل الفضل بيد الله يوتيه من يشاء ولله در
امر التنزيل واحاطته على لطايف الاعتبارات فى ايراد المعنى على انحاء مختلفة بحسب مقتضيات

كمام

١٩٥

الاحوال لاترى شيئا منها يراعى فى كلام البلغاء من وجه لطيف الا عثرت عليه مراعى

فيه من اللطف وجوه وانا القى اليك من القران عدة امثلة مما نحن فيه ليستضىء بها فيما

عسى تظلم عليك من نظايرها اذا احببت ان تتخذها مسارح نظرك منها ان قال

عز من قايل فى سورة القصص فى قصة موسى ع م وجاء رجل من اقصى المدينة

فذكر المجرور بعد الفاعل وهو موضعه وقال فى سورة يس فى قصة رسل عيسى علم

وجاء من اقصى المدينة رجل فقدم لما كان اهم بيتن ذلك انه حين اخذ

فى قصة الرسل اشتمل الكلام على سوء معاملة اصحاب القرية الرسل

وانهم اصروا على تكذيبهم وانهمكوا فى غوايتهم مستشرين على باطلهم

فكان مظنة ان يلعن السامع على مجرى العادة تلك القرية قايلا ما

انكدها تربة وما اسوءها منبتا ويبقى مجيلا فى فكره اكانت تلك المدرة بحافاتها كذلك

ام كان هناك قطر دانٍ او قاصٍ منبت خير منتظر المساق الحديث هل يلم بذكره

فكان لهذا العارض مهما فكما جاء سوضع له صالح ذكر بخلاف قصة موسى ع م ومنها

ان قال فى سورة المومنين لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا فذكر بعد المرفوع وما تابعه المنصوب

وهو موضعه وقال فى سورة النمل لقد وعدنا هذا نحن فقدم لكونه فيها اهم يدلك

على ذلك ان الذى قبل هذه الابناء اذا كنا ترابًا واباؤنا والذى قبل الاولى ءاذا

متنا وكنا ترابًا وعظامًا فالجهة المنظور فيها هناك هى كون انفسهم ترابًا وعظامًا والجهة

المنظور فيها ههنا هى كون انفسهم وكون ابائهم ترابًا لاجزء هناك من بناهم على صورته

نفسه ولا شبهة انها ادخل عندهم فى تبعيد البعث فاستلزم زيادة الاعتناء بالقصد

الى ذكره فصيّره هذا العارض اهم ومنها ان قال فى موضع من سورة المومنين فقال الملاء

الذين كفروا من قومه فذكر المجرور بعد صفة الملاء وهو موضعه كما تعرف وفى

موضع اخر منها وقال الملاء من قومه الذين كفروا فقدم المجرور لعارض صيّره

بالتقديم اولى وهو انه لو اخر عن الوصف وانت تعلم ان تمام الوصف بتمام ما

يدخل فى صلة الموصول وتمامه واترفناهم فى الحيوة الدنيا لاحتمل ان يكون

من صلة الدنيا واشتبه الامر فى قائليه اهم من قومه ام لا ومنها ان قال فى سورة طه

امنا برب هرون وموسى وفى سورة الشعراء رب موسى وهرون للمحافظة

على الفاصلة ولنقتصر من الامثلة على ما ذكرنا فما كان الغرض الا مجرد التنبيه دون

التتبع لنظائرها فى القران وتفصيل القول فيها حاسمًا للكلام بان جميع ما وعته

اذناك من التفاصيل فى هذه الانواع الثلثة من فصل التقديم والتاخير هو مقتضى الظاهر

41

فيها وقد عرفت فيما سبق ان اخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر طريق للبلغاء

يسلك كثيراً بتنزيل نوع مكان نوع باعتبار من الاعتبارات فليكن هذا على ذكر

منك واما الحالة المقتضية لتقييد الفعل بالشروط المختلفة كان وان ما واذا

واذا ما واذ ما و متى ومتى ما واى واين واين ما وحيث وحيث ما ومن ومهما

واىّ وانّى وكلو ما الذى يكشف عنها القناع وقوفك على ما بين هذه

الكلم من التفاصيل اما اِنْ فهى للشرط فى الاستقبال والاصل فيها الخلو عن الجزم

بوقوع الشرط كما يقول القائل ان تكرمنى اكرمك وهو لا يعلم اتكرمه ام لا

فاذا استعملت فى مقام الجزم لم تخل عن نكتة وهى اما التجاهل لاستدعاء المقام اياه

واما ان المخاطب ليس بجازم كما تقول لمن يكذبك فيما انت تخبره ان صدقت

فقل لى ماذا تعمل واما بتنزيل المخاطب منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب

علمه العلم كما قد تقول الاب لابن لا يراعى حقه افعل ما شئت انى ان لم

اكن لك ابا كيف تراعى حقى ولامتناع الجزم بتحقق المعلّق بما فى تحققه

شبهة قلما تترك المضارع فى بليغ الكلام الى الماضى المؤذن بالتحقق

نظراً الى لفظه لغير نكتة مثل ما ترى فى قوله علت كلمته ان يثقفوكم

يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا

لو تكفرون ترك وودوا الى لفظ الماضى اذ لم تكن تحتمل ودادهم لكفرهم

من الشبهة ما كان يحتملها كونهم ان يثقفوهم اعداء لهم وباسطى الايدى

والالسن اليهم للقتل والشتم واذا للشرط فى الاستقبال قال الله تعالى ثم

اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون على نحو وان تصبهم

سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون بادخال اذا فى الجزاء والاصل فيها القطع بوقوع

الشرط كما اذا قلت اذا طلعت الشمس فانى افعل كذا قطعا اما تحقيقا كما فى المثال المضروب

او باعتبار ما خطابى وهو النكتة فى تغليب لفظ الماضى معه على المستقبل فى الاستعمال

لكون الماضى اقرب الى القطع من المستقبل فى الجملة نظرا الى اللفظ قال الله فاذا

جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه بلفظ اذا

فى جانب الحسنة حيث اريدت الحسنة المطلقة لا نوع منها كما فى قوله وان تصبهم

حسنة يقولوا هذه من عند الله وفى قوله ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن

لكون حصول الحسنة المطلقة مقطوعا بها كثرة وقوع واتساعا ولذلك عرفت

ذهابا الى كونها معهودة او تعريف جنس والاول اقضى لحق البلاغة وبلفظ ان

جاءتهم

فى جانب البلاغة السيئة مع تنكير السيئة اذ لا تقع الا فى الندرة بالنسبة الى الحسنة
المطلقة ولا يقع الا شى منها ولذلك قيل قد عددت ايام البلاء فهل عددت
ايام الرخاء ومنه واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت
ايديهم اذا هم يقنطون بلفظ اذا فى جانب الرحمة وكان تنكرها لقصد النوع
للنظر الى لفظ الاذاقة فهو المطابق للبلاغة واما قوله وان كنتم فى ريب مما نزلنا
على عبدنا وان كنتم فى ريب من البعث بلفظ ان مع المرتابين فاما لقصد التوبيخ
على الريب لاشتمال المقام على ما يقلعها عن اصلها وتصوير ان المقام لا يصلح
الا لمجرد الغرض للارتياب كما فرض المحالات مع تعلقه بفرضها اعراض كقوله
ولو سمعوا لها ما استجابوا لكم والضمير فى سمعوا للاصنام ويأتى ان يقال
اذا ارتبتم ومثله افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين فيمن قراء ان
بالكسر لقصد التوبيخ والتجهيل فى ارتكاب الاسراف وتصوير ان الاسراف من
فى مثل هذا المقام واجب الانتفاء حقيق ان لا يكون ثبوته له الا على مجرد الفرض
ومنه ما قد تقول العامل عند القاضى بالعمالة اذا امتد التسويف واخذ يترجم
عن الحرمان ان كنت لم اعمل فقل لوا اقطع الطمع منى لهم لتوهم ان يحرموه منزلة

منزلة من لا يعتقد انه عمل فيقول مجهلاً ان اعتقدتم انى لم اعمل فقولوا ويلكم واما

لتغليب غير المرتابين ممن خوطبوا على مرتابهم وباب التغليب باب واسع يجرى

فى كل فن قال الله حكاية عن قوم شعيب لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا

معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا ادخل شعيب فى لتعودن فى ملتنا بحكم

التغليب والا فما كان شعيب فى ملتهم كافراً مثلهم فان الانبياء معصومون

ان يقع منهم صغيرة فيها نوع نفرة فما بال الكفر وكذا قوله ان عدنا فى ملتكم

وقال الله هو الا امراته كانت من الغابرين وفى موضع اخر وكانت من القانتين

عدت الانثى من الذكور بحكم التغليب وقال هو واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم

فسجدوا الا ابليس عد ابليس من الملائكة بحكم التغليب عد الانثى من الذكور

اى كون
من هذا الباب قوله تعالى بل انتم قوم تجهلون بتاء الخطاب غلب جانب انتم

على جانب قوم وكذا وما ربك بغافل عما تعملون فيمن قرا بتاء الخطاب اى انت

يا محمد وجميع المكلفين وغيرهم وكذا يذرؤكم فيه فى قوله جعل لكم من انفسكم ازواجاً

ومن الانعام ازواجاً يذرؤكم فيه خطاباً شاملاً للعقلاء والانعام مغلباً فيه

المخاطبون على الغيب والعقلاء على ما لا يعقل ومنه قولهم ابوان للاب والام

وثمران

وقمران للشمس وحاالقمر وخافقان للمغرب والمشرق واما قوله في قوله واذا
مس الناس ضر دعانا بلفظ اذا مع الضر فللنظر الى لفظ المس والى تنكير الضر
المقيد في المقام التوبيخي القصد الى اليسير من الضر والى الناس المستحقين ان
يلحقهم كل ضرر وللتنبيه على ان مساس قدر يسير من الضر لاشالهم لاحقه
ان يكون في حكم المقطوع به واما في قوله واما اذا مسه الشر فذو دعاء عريض
بعد قوله واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه اى اعرض عن شكر الله
وذهب بنفسه وتكبر وتعظم فالذى يقتضيه البلاغة ان يكون الضمير في
مسه للمعرض المتكبر ويكون لفظ اذا للتنبيه على ان مثله يحق ان يكون ابتلاؤه
بالشر مقطوعا به وعند النحويين ان اذ في اذ ما مسلوب الدلالة على الاستقبال
ولا فرق بين اذا واذا ما في باب الشرط من حيث المعنى الا في الابهام في الاستقبال
ومتى لتعميم الاوقات في الاستقبال ومتى ما اعم واين لتعميم الامكنة والاحياز
واينما اعم قال الله تعالى ايناما تكونوا يدرككم الموت وحيث ما نظير ايناما قال تعالى
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ومن لتعميم اولى العلم قال تعالى ومن يهاجر
في سبيل يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة وما لتعميم الاشياء قال الله تعالى

وما تفعلوا من خير فان الله به عليم علا ومنها اعم قال الله تع وقالوا مهما

تاتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ووجه اذا قدر الاصل اياما

ظاهر واى لتعميم ما يضاف اليه من اولى العلم وغيرهم وانى لتعميم الاحوال

الراجعة الى الشرط كما تقول انى تقرا اقرا اى على اى حال توجد القراءة

من جهرها وهمسها او غير ذلك اوجدها انا والمطلوب بهذه المعممات ترك

تفصيل الى اجمال مع الاحتراز عن تطويل اما غير واف بالحصر او ممل الاترى

فى قولك من ياتى اكرمه كيف تستغنى عن التفصيل والتطويل فى قولك ان ياتى

زيد اكرمه وان ياتنى عمرو اكرمه وان ياتنى خالد اكرمه الى عدد ربما تعذر استيفاؤه

مع قيام الاملال قال الله ومن يطع ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك

هم الفائزون اى ايما مكلف اطاع الله فى فرايضه ورسوله فى سننه وخشى

الله على ما مضى من ذنوبه واتقاه فيما يستقبل فقد حاز الفوز بحذافيره واعلم

ان الجزاء والشرط فى غير لو لما كان لتعليق حصول امر بحصول ما ليس بحاصل

استلزم ذلك فى جملتيهما امتناع الثبوت فامتنع ان تكونا اسميتين او احديهما

وكذا امتناع المضى فامتنع ان يكون الفعلان ماضيين او احدهما ويظهر من هذا

48

ان نحو ان اكرمتنى اكرمتك وان اكرمنى اكرمتك ونحو ان تكرمتنى فانت مكرم
ونحو ان اكرمتنى الان فقد اكرمتك امس مما لا موجب لكونه مضارعاً سعه
كون التاكيد فى نحو فاما ياتينكم منى هدى واما تثقفنهم فى الحرب لا يصار اليه
فى بليغ الكلام الا لنكتة ما توخى ابراز غير الحاصل فى معرض الحاصل اما لقوة
الاسباب فى ذلك المتاخرة فى وقوعه كقولك ان اشترينا كذا حال انعقاد الاسباب
فى ذلك واما لان ما هو للوقوع كالواقع نحو قولك ان مت وعليه ونادى
اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف وكذا انما نحو قولك انا فتحنا لك لنزولها
قبل فتح مكة وفى اقوال المفسرين رحمهم الله ههنا كثرة واما للتعريض
كما فى نحو قوله لئن اتبعت اهواءهم لئن اشركت فان زللتم من بعد ما جاءتكم
البينات ونظيره فى كونه تعريضاً قوله وما لى لا اعبد الذى فطرنى واليه
ترجعون المراد وما لكم لا تعبدون الذى فطركم والمنبه عليه قوله
واليه ترجعون ولولا التعريض لكان المناسب واليه ارجع وكذا ءاتخذ
من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون
انى اذا لفى ضلال مبين المراد ءاتخذون من دونه الهة ان يردكم الرحمن بضر

لاتغن عنى شفاعتهم شيئا ولاينقذون انى اذن لفى ضلال مبين ولذلك

قيل انى امنت بربكم فاسمعون دون بربى واتبعه فاسمعون ولا يخفى

حسن موقع هذا التعريض الآن اذا نظرت الى مقامه وهو تطلب اسماع الحق على وجه

لايورث طالبى دم المسمع مزيد غضب وهو ترك المواجهة بالتضليل والتصريح

لهم بالنسبة الى ارتكابهم الباطل ومن هذا الاسلوب قوله تعالى قل لاتسالون عما

اجرمنا ولانسال عما تعملون والا لحق النسق من حيث الظاهر قل لاتسالون

عما عملنا ولانسال عما تجرمون وكذا ما قبله وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال

وهذا النوع من الكلام يسمى المنصف واما للتفاؤل واما لاظهار الرغبة فى

وقوعه كما تقول ان ظفرت بحسن العاقبة فذاك وعليه قوله تعالى ولاتكرهوا فتياتكم

على البغاء ان اردن تحصنا وما شاكل ذلك من لطايف الاعتبارات وقولهم رحمه الله

فى الدعاء من هذا القبيل ومن هنا تتنبه لنكتة يتضمنها تفاوت الشرطين فى واذا

جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه

ماضيا فى جاءتهم الحسنة ومستقبلا فى تصبهم سيئة وابراز المقدر فى معرض

الملفوظ به لانصباب الكلام الى معناه كما فى قولك ان اكرمتنى الآن فقد اكرمتك

49

امس مراد ابيه ان تعتد باكرامك اياى الان فاعتد باكرامى اياك امس واما كلمة

لو فحين كانت لتعليق ما امتنع من بجى بخاطبك امتنعت جملتاها عن الثبوت ولزم

ان تكونا فعليتين والفعل ماضٍ واستلزم فى مثل قوله عز اسمه ولو ترى

اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ولو ترى اذ الظالمون موقوفون

عند ربهم تنزيل المستقبل نظماً له فى سلك المقطوع به لصدوره عمن لا خلاف

فى اخباره منزلة الماضى المعلوم فى قولك لو رايت على نحو تنزيل يود منزلة

ود فى قوله تعالى ربما يود الذين كفروا فى احد قولى اصحابنا البصريين رحمهم الله

واستلزم فى مثل قولك لو تحسن الى لشكرت القصد تحسن الى تصوير ان

احسانه مستمر الامتناع فيما مضى وقتا فوقتا على نحو قصد الاستمرار حالا فحالا

بيستهزئ فى قوله عز اسمه الله يستهزئ بهم بعد قوله قالوا انا معكم انما نحن

مستهزءون ويكسبون فى قوله فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون

وقوله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم وارد على هذا اى يمنع عنتكم باستمرار امتناعه

عن طاعتكم ولك ان ترد الغرض من لفظ ترى ويود وتحسن الى استحضار

صورة المجرمين ناكسى الرؤس قائلين بما يقولون فصورة الظالمين موقوفين

عندربهم متفاوتين بتلك المقالات واستحضار صورة ودادة الكافرين لو اسلموا
واستحضار صورة منع الاحسان كما في قوله والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابًا
فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها اذ قال فتثير استحضارًا لتلك
الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية من اثارة السحاب مسخرًا بين
السماء والارض متكونا فى المراى تارة عن قزع تبدو كانها قطع قطن مندوف
ثم مضامة متقلبة بين اطوار حتى يعود ركامًا وانه طريق للبلغاء لا يعدلون
عنه اذا اقتضى المقام سلوكه او ما ترى تابط شرًا فى قوله بانى قد لقيت
الغول تهوى بسهب كالصحيفة صحصحان فاضربها بلا دهش فخرت صريعًا
لليدين وللجران كيف سلكه فى اضربها بلا دهش قصدا ان يصور لقومه الحالة
تشجع فيها بضرب الغول كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها ويتطلب منهم
مشاهدتها تعجبًا كما من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة وقوله سبحانه
ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون دون
كن فكان من هذا القبيل واستلزم فى مثل لو انتم تملكون حمله على تقدير لو
تملكون تملكون لفائدة التاكيد ثم حذف الفعل الاول اختصار الدلالة ضمير

علم

عليه المبدل بعد ذهاب الفعل منفصلا وامثال هذه اللطايف لا يتغلغل فيها
الا الاذهان الراضه من علماء المعانى ولبنى علم المعانى على التتبع لتراكيب الكلام
واحدًا فواحدًا كما ترى وتطلب العثور على ما لكل منها من لطايف النكت مفصله
لا يتم الاحاطة به الا لعلام الغيوب ولا يدخل كنه بلاغة القران الا تحت
علمه الشامل واعلم ان مستودعات فصول هذا النوع الفن لا يتضح الا
باستيراء زناد خاطر وقاد ولا تنكشف اسرار جواهرها الا لبصير ذى
طبع نقاد ولا تضع ازمتها الا بيد راكض فى حلبتها الى اناى مدى با ستفراغ
طوق متفوق اقا ويق استنباتها بقوة فهم وسعونة ذوق مولع من لطايف
البلاغة بما يوثرها القلوب بصفا باحباتها وتنثر عليها افئدة مصاقع
الخطباء خبايا محباتها متوسل بذلك ان يتانق فى وجه الاعجاز فى التنزيل
منتقلا مما اجمله عجز المتحدين به عندك الى تفصيل طامع من رب العزة و الكبرياء
فى المثوبة الحسنى والفوز عند يوم النشور بالذخر الاسنى الفن الرابع
مركوز فى ذهنك لا تجد لرده مقالا ولا لارتكاب جحده مجالا ان ليس
يمتنع بين مرهوى جملتين اتحاد بحكم التاخى وارتباط لاحدهما بالاخر مستحكم

الا لواحق ولا ان يباين احدهما الآخر مباينة الاجانب لانقطاع الوشايج بينهما
من كل جانب ولا ان يكونا بين بين لا صرة رحم ما هنالك فيتوسط حالهما
بين الاولى والثانية لذلك ومدار الفصل والوصل وهو ترك العاطف وذكره
على هذه الجهات وكذا طي الجمل عن البين ولا طيها وانها لمحك البلاغة ومنقد البصيرة
ومضمار النظار ومتفاضل الانظار ومعيار قدر الفهم ومسبار غور الخاطر ومنجم
صوابه وخطائه ومجم جلائه وصدائه وهي التي اذا طبقت فيها المفصل شهدوا لك
من البلاغة بالقدح المعلى وان لك في ابداع وشيها اليد الطولى وهذا فصل له فضل
احتياج الى تقدير وافٍ وتحرير شافٍ اعلم ان تمييز موضع العطف عن غير
موضعه في الجمل كنحو ان تذكر معطوفا بعضها على بعض تارة ومتروكا العطف
بينهما اخرى هو الاصل في هذا الفن وانه نوعان نوع يقرب تعاطيه ونوع
يبعد ذلك فيه فالقريب هو ان تقصد العطف بينها بغير الواو او بالواو وبينها
لكن بشرط ان يكون للمعطوف عليها محل من الاعراب والبعيد هو ان يقصد
العطف بينها بالواو وليس للمعطوف عليها محل اعرابي والسبب في ان قرب
القريب وبعد البعيد هو ان العطف في باب البلاغة يعتمد معرفة اصول

ثلثة احدها الموضع الصالح له من حيث الوضع وثانيها فائدته وثالثها
وجه كونه مقبولا لا مردودا وانت اذا اتقنت معانى الفاء وثم وحتى
ولا وبل ولكن واو وام واما واى على قولى حصلت لك الثلاثة لدلالة
كل منها على معنى محصل مستدع من الجمل بينا مخصوصا مشتملا على فائدة
وكونه مقبولا هناك وكذلك اذا اتقنت ان الاعراب صنفان لا غير
صنف ليس بتبع وصنف تبع واتقنت ان الصنف الثانى منحصر فى تلك
الانواع الخمسة البدل والوصف والبيان والتاكيد واتباع الثانى الاول فى
الاعراب بتوسيط حرف وعلمت كون المتبوع فى نوع البدل فى حكم المنحى و
المضرب عنه بما تسمع ائمة النحو رحمهم الله يقولون البدل فى حكم تنحية المبدل منه
ويوصون بتصريح بل فى قسمة الغلطى وعلمت فى الوصف والبيان والتاكيد
ان التابع فيها هو المتبوع فالعالم فى زيد العالم عندك ليس غير زيد وعمرو فى اخوك
عمرو عندى ليس غير اخوك ونفسه فى جاء خالد نفسه ليس غير خالد ثم رجعت
فتحققت ان الواو يستدعى معناه ان لا يكون معطوفه هو المعطوف عليه لامتناع
ان يقال جاء زيد وزيد وان يكون زيد الثانى هو زيدا الاول حصل لك ان

الاول ليس موضع العطف باى حرف كان من حروف لفوات شرط العطف
فيه وهو تقدم متبوع ولم يذهب عليك ان نحو جاء وزيد وعرفت فعمرا
واتانى خالد وراكبا وما جرى هذا المجرى غير صحيح وان نحو قوله عليك
ورحمة الله السلام يلزم ان يكون عديم المثل وان لا يسوغه الا نية
التقديم والتاخير واما نحو قوله عز سلطانه واياى فارهبون فانما ساغ
لكون المعطوف عليه فى حكم الملفوظ به لكونه مفسرا اذ تقديره واياى ارهبوا
على ما سبق التعرض لهذا القبيل فى علم النحو واما نحو قوله اوكلما عاهدوا فانما ساغ
لتقدم حرف الاستفهام المستدعى فعلا مدلولا على معناه بقراين مساق الكلام
وهو اكفروا بايات الله وكلما عاهدوا وحصل لنا ايضا ان الانواع الاربعة
من الصنف الثانى ليس واحد منها موضعا للعطف بالواو واما الفوات شرط
العطف حكما كما فى البدل النزول قولك سلب زيد ثوبه اذا عطفت فيه منزلة
سلب وثوبه حكما واما الفوات شرط معناه كما فى الوصف والبيان والتاكيد
انما موضعه النوع الخامس واما نحو قوله عز اسمه وما اهلكنا من قرية الا ولها
كتاب معلوم فالوجه فيه عندى هو ان ولها كتاب معلوم حال لقرية لكونها فى

في حكم الموصوفة نازلة منزلة وما اهلكنا قرية من القرى لاوصف وحمله على
الوصف سهو لاخطاء ولا عيب في السهو للانسان والسهو ما يتنبه صاحبه
بادنى تنبيه والخطاء ما يتنبه صاحبه او ينبه ولكن بعد اتعاب وسيزداد
ما ذكرت وضوحا في اخر هذا الفصل في الكلام في الحال ثم اذا اتقنت ايضا
ان كل واحد من وجوه الاعراب دال على معنى كما يشهد لذلك قوانين علم النحو
حصل لك فائدة الواو وهي مشاركة المعطوف والمعطوف عليه في ذلك المعنى
فيكون عندك من الاصول الثلاثة اصلان معرفة موضعه ومعرفة فائدته
فاذا عرفت ان شرط كون العطف بالواو مقبولا هو ان يكون بين المعطوف والمعطوف
جهة جامعة مثل ما ترى في نحو الشمس والقمر والسماء والارض والجن والانس
كل ذلك محدث وستفصل الكلام في هذه الجهة بخلافه في نحو الشمس ومرارة
الارنب وسورة الاخلاص والرجل اليسرى من الضفدع ودين المجوس والف
باذنجانة كلها محدثة حصلت لك الاصول الثلاثة وان الامر من القرب
فيها كما ترى واما توسيط الواو بين جمل لا محل للمعطوف عليها من الاعراب فانما بعد
تعاطيه لكون الاصول الثلاثة في شانه غير ممهدة لك وهو السر في ان دق مسلكه

وبلغ من الغموض الى حيث قصر بعض ايمة علم المعانى البلاغة على معرفة الفصل من الوصل
وما قصرها عليه لان الامر كذلك وانما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموض هذا الفن
وان احدا لا يتجاوز هذه العقبة من البلاغة الا كان خلف ساير عقباتها خلفه واعلم
انك اذا تاملت ما لخصت لك فى الضرب التعاطى قرب عندك هذا الثانى بحيث
لا يخفى عليك باذن الله بادنى تنبيه وهو ان الجملة متى نزلت فى كلام المتكلم منزلة
الجملة العارية عن المعطوف عليها كما اذا اريد بها القطع عما قبلها او اريد بها البدل عن سابقة
عليها لم تكن موضعا لدخول الواو وكذا متى نزلت من الاولى منزلة
نفسها لكمال اتصالها بها مثل ما اذا كانت موضحة لها ومبينة او موكدة
لها ومقررة لم تكن موضعا لدخول الواو وكذا متى لم تكن بينها وبين
الاولى جهة جامعة لكمال انقطاعها عنها لم تكن ايضا موضعا لدخول الوا و
وانما تكون موضعا لدخوله اذا توسطت بين كمال الاتصال وبين كمال
الانقطاع ولكل من هذه الانواع حالة تقتضيه فاذا طابق وروده هاتلك
الاحوال وطبق المفصل هناك رقى الكلام من البلاغة عند اربابها الى درجة
يناطح فيها السماك فلا بد من تفصيل الكلام فى تلك الحالات فنقول اما

83

اما الحالة المقتضيه للقطع فهى نوعان احدهما ان يكون للكلام السابق حكم وانت
لا تريد ان تشركه الثانى فى ذلك فتقطع ثم ان هذا القطع ياتى اما على وجه الاحتياط
وذلك اذا كان يوجد قبل الكلام السابق كلام غير مشتمل على مانع من العطف
عليه لكن المقام مقام احتياط فتقطع لذلك واما على وجه الوجوب وذلك اذا كان
لا يوجد وثانيهما ان يكون الكلام السابق بفحواه كالمورد للسوال فينزل ذلك
منزلة الواقع ويطلب بهذا الثانى وقوعه جوابا له فتقطع عن الكلام السابق لذلك
وتنزيل السوال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار اليه الا لجهات لطيفة اما لتنبيه
السامع على موقعه او لاغنائه ان يسال او لئلا يسمع منه شئ او لئلا ينقطع كلامك
بكلامه او للقصد الى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السوال وترك العاطف
او غير ذلك مما ينخرط فى هذا السلك ويسمى النوع الاول قطعا والثانى استينافا
واما الحالة المقتضية للابدال فهى ان يكون الكلام السابق غير واف بتمام المراد
وايراده او كغير الوافى والمقام مقام اعتناء بشانه اما لكونه مطلوبا فى نفسه
او لكونه غريبا او فظيعا او عجيبا او لطيفا او غير ذلك مما له جهة استدعاء للاعتناء
بشانه فيعيد المتكلم بنظمه او فى سنه على نية استيناف القصد الى المراد ليظهر مجموع

القصد بن البدل فى الاول والثانى اعنى المبدل منه والبدل مزيد الاعتناء بالشأن
واما الحالة المقتضية للايضاح والتبيين فهى ان يكون بالكلام السابق نوع خفاء
والمقام مقام ازالته له واما الحالة المقتضية للتاكيد والتقرير فظاهرة واما الحالة
المقتضية لكمال انقطاع ما بين الجملتين فهى ان تختلفا خبرا وطلبا مع تفصيل تعرف
فى الحالة المقتضية للتوسط او ان اتفقتا خبرا فان لا يكون بينهما ما يجمعهما عند المفكرة
جمعا من جهة العقل او الوهم والخيال والجامع العقلى هو ان يكون بينهما اتحاد
فى تصور مثل الاتحاد فى المخبر عنه او الخبر او فى قيد من قيودهما او تماثل هناك
فان العقل بتجريده المثلين عن التشخص فى الخارج يرفع التعدد عن البين او تضايف
كالذى بين العلة والمعلول والسبب والمسبب والسفل والعلو والاقل والاكثر
فالعقل يابى ان لا يجتمعا فى الذهن وان العقل سلطان مطاع والوهمى هو ان يكون
بين تصوريهما شبه تماثل نحو ان يكون المخبر عنه فى احدهما لون بياض وفى
الثانية لون صفرة فان الوهم يحتال فى ان يبرزهما فى معرض المثلين وكم للوهم
من حيل تروج والا فعليك بقوله ثلثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وابو
اسحق والقمر وقل لى ما الذى سواه حسن الجمع بين الشمس وابى اسحق والقمر هذا

هذا التحسين او بقوله اذا لم يكن للمرء فى الخلق مطمع فذو التاج والسقاء والذرّ
واحد وقد عرفت حال المثلين فى شان الجمع او تضاد كالسواد والبياض والهمس
والجهارة والطيب والنتن والحلاوة والحموضه والملاسة والخشونة وكالتحريك
والسكون والقيام والقعود والذهاب والمجيئ والاقرار والانكار والايمان والكفر
واكالمتصفات بذلك من نحو الاسود والابيض والمؤمن والكافر او شبه تضاد
كالذى بين السماء والارض والسهل والجبل والاول والثانى فان الوهم ينزّل
المتضادين والشبيهتين بهما منزلة المتضائفين فيجتهد فى الجمع بينهما فى الذهن
ولذلك تجد الضد اقرب خطورا بالبال مع الضد والخيالى هو ان يكون
بين تصوريتهما تقارن فى الخيال سابق لاسباب مودية الى ذلك فان جميع
ما يثبت فى الخيال مما يصل اليه من الخارج يثبت فيه على نحو ما يتادى اليه
ويتكرر لديه ولذلك لما لم تكن الاسباب على وتيرة واحدة فيما بين معشر البشر
اختلف الحال فى ثبوت الصور فى الخيالات ترتبا ووضوحا فكم صورة تتعانق
فى خيال وهى فى آخر ليست تتراءى وكم صورة لا تكاد تلوح فى خيال وهى
فى غيره نار على علم وان احببت ان تستوضح ما يلوح به اليك فحدّق اليه

من جانب اختيارك تلوق كاتبا بنعد يد قرطاس ومحبرة وقلم ونجارًا بتعديد

منشارٍ وقدومٍ وعتلةٍ واخر واُخر مما يلابسون واياكان من اصحاب العرف

والرسم فتلقه بذكر مسجدٍ ومحراب وقنديلٍ وحمامٍ وازارٍ وسطل

اوغير ذلك مما يجمعه العرف والرسم فانهم جميعًا لمصادفتهم معدودا تك

على وفق الثابت في خيالهم لا يستبدعون العد ولا يقفون له موقف نكيرٍ

واذا غيرتها الى نحو محبرة ومنشار وقلم وقدوم ونحو مسجد وسطل و قنديل

وحمام جاء الاستبداع والاستنكار وهل شبهات اولئك الرفقاء الاربعة للبدر

الطالع عليهم فيما يحكى تتلوا عليك سورة غير ما تلوناه او تجلوا لديك صورة

غير ما جلوناه يحكى ان صاحب سلاح ملك وصواغًا وصاحب بقرٍ وسعلم

صبية اتفق ان انتظمهم سلك طريق وقد كان حمل كلا منهم مركب الجد فما

اورثهم انتقاب المحجة بالاظلام سوى الاعزاء ان يلطموا بايدى الروافض

حدودها وما استطاع الظلام ان لا يبطوا المسافة وقد نشر جناحه وان

يلقوا عطاعصاهم وقد مد لهم رواقه فقابلهم بعبوس فترعن مزيد تخبطهم

وخوف ضلالهم فبيناهم في وحشة الظلماء وقد بلغ السيل الزبى ومقاساة

٤٤

محنتي التخبط وخوف الضلال وقد جاوز الحزام الطبيين آنسهم البدر الطالع

بوجهه الكريم واضاءت لهم انواره كل مظلم بهيم فلم يتمالكوا ان اقبل عليه كل

منهم ينظم ثناءه ويمدح سناه وسناءه ويخدمه باكرم نتايج خاطره واذا

شبهه مشبه بافضل ما اخزانته صورة فما يشبهه السلاحي الا بالترس المذهب

يرفع عند الملك ولا يشبهه الصايغ الا بالسبيكة من الابريز تفتر عن وجهها

البوتقه ولا يشبهه البقال الا بالجبن الابيض يخرج من قالبه طريا ولا يشبهه المعلم

الا برغيف احمر يصل اليه من بيت ذى مروة او التفاوت فى الايراد لوصف (بجوال)

الكلام فيما يحكيه الاصحاب عن الاذكياء من ذوى الحرف المختلفة كوصف الجوهرى

للكلام احسن الكلام ما ثقبته الفكرة ونظمته الفطنة وفصل جواهر معانيه

فى سمط الفاظه فحملته نحور الرواة ووصف الصيرفى خير الكلام ما نقدته

يد البصيرة وجلته عين الروية ووزنته معيار البلاغة فلا ينطق فيه

بزايف ولا يسمع فيه بهرج ووصف الصايغ خير الكلام ما احميته بكير الفكر

وسبكته بمشاعل النظر وخلصته من خبث الاطناب فبرز بروز الابريز

مركبا فى معنى وجيز ووصف الحداد احسن الكلام ما نصبت عليه منفاخ

الروية واشعلت فيه نار البصيرة ثم اخرجته من فحم الافحام و رققته بقطيس الافهام و وصف الجاحظ ابلغ الكلام ما طبخته مراجل العلم وضمنته دنان الحكمة وصفاه راووق الفهم فتمشت في المفاصل عذوبته وفي الافكار رقته وفي العقل حدته و وصف البزار احسن الكلام ما صدق رقم الفاظه وحسن رسم معانيه فلم يستعجم عند نشر ولم يستبهم عند طي و وصف الكمال اصح الكلام ما سحقته في منحاز الزكاء ونخلته بحرير التمييز وكما ان الرمد قذى العين كذا الشبهة قذى البصاير فاكحل عين اللكنة بميل البلاغة واجل رمض الغفلة ببرود اليقظة او سلوك الطريق في وصف البليغ حين سلكه الجمال قايلا البليغ من اخذ بخطام كلامه واناخه في مبرك المعنى ثم جعل الاختصار له عقالا والايجاز له مجالا فلم ينبو عن الاذهان ولم يشذ عن الاذان او اخبار الوراق عن حاله على ما اخبر عيشي اضيق من محبرة وجسمي ادق من مسطرة وجاهي ارق من الزجاج وحظي اخفى من شق القلم وبدني اضعف من قصبة وطعامي امر من العفص وشرابي اشد سوادا من الحبر وسوء الحال لي الزم من الصمغ ولصاحب علم المعاني فضل احتياج في هذا الفن الى التنبه لانواع هذا الجامع

اليقظة

86

والتيقظ لها لاسيما النوع الخيالي فان جمعه على مجرى الالف والعادة بحسب ما
ينعقد الاسباب في استيداع الصور خزانة الخيال وان الاسباب كما ترى الى اي حد
تتباين في شان الجمع بين صور وصور فمن اسباب تجمع بين صومعة وقنديل وقراءة
ومن اسباب تجمع بين دسكرة وابريق واقران فقل لي اذا لم يوفه حقه من التيقظ
وانه من اهل المدر اني يستحلي كلام رب العزة مع اهل الوبر حيث يبصرهم الدلائل
ناسقا ذلك النسق افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى
الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت لبعد البعير عن خياله في مقام
النظر ثم لبعده في خياله عن السماء وبعد خلقه عن رفعها وكذلك البواقي لكن اذا
وفاه حقه بتيقظه لما عليه تقلبهم في حاجاتهم جاء الاستحلاء وذلك اذا نظر
اهل الوبر اذا كان مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشي كانت عنايتهم مصروفة
لامحالة الى اكثرها نفعا وهي الابل ثم اذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل الا بان ترعى
وتشرب كان جل مرمى غرضهم نزول المطر واهم مسارح النظر عندهم السماء
ثم اذا كانوا مضطرين الى ماوى يؤويهم والى حصن يتحصنون فيه ولا ماوى
ولا حصن الا الجبال لنا جبل نحتله من يجيره منيع يرد الطرف وهو كليل

فاظنك بالتفات خاطرهم اليها ثم اذا تعذر لطول سكناهم في منزل ومن لا صحاب مواشي بذلك كان عقد الهمة عندهم بالتنقل من ارض الى سواها من عزم الامور فعند نظره هذا ايرى البدوي اذا اخذ يفتش ما في خزانة الصور لم لا يجد صورة الا بل حاضرة هناك او لا يجد صورة السماء لها مقارنة او يعوزه صورة الجبال بعدهما او لا تنقص اليه صورة الارض تليلها بعدهن لا وانما الحضري حيث لم تتاخذ عنده تلك الامور وما جمع خياله تلك الصور على ذلك الوجه اذا تلا الاية قبل ان يقف على ما ذكرت ظن النسق لجهله معيبا للعيب فيه واما الحالة المقتضية للتوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع فهي ان اختلفتا خبرا وطلبا ان يكون المقام مشتملا على ما يزيل الاختلاف من تضمين الخبر معنى الطلب او الطلب معنى الخبر ومشتركا بينهما في جهات جامعة مما تليت عليك على نحو قوله عز وعلا واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا اذ لا يخفى ان قوله لا تعبدون مضمن معنى لا تعبدوا وقوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم وامتازوا اليوم ايها المجرمون فان المقام

٤٧

فان المقام مشتمل على تضمين ان اصحاب الجنه معنى الطلب بيان ذلك ان الذى قبله
من قوله فاليوم لا تظلم نفس شيئا كلام وقت الحشر من غير شبهة لورود معطوفا
بالفاء على قوله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون وعامّ
لجميع الخلق لعموم قوله لا تظلم نفس شيئا وان الخطاب الوارد بعده على سبيل الالتفات
فى قوله و لا تجزون الا ما كنتم تعملون خطاب عامّ لاهل الحشر وان قوله ان اصحاب
الجنه اليوم فى شغل فاكهون الى قوله ايها المجرمون متقيد بهذا الخطاب لكونه تفصلة
لما اجمله ولا تجزون الا ما كنتم تعملون وان التقدير ان اصحاب الجنه اليوم منكم
يا اهل الحشر ثم جاء فى التفسير ان قوله هذا ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون
يقال لهم حين يسار بهم الى الجنه بتنزيل ما هو للكون بمنزلة الكائن فانظر بعد
تحرير معنى الاية وهو ان اصحاب الجنة منكم يا اهل الحشر تؤول حالهم الى اسعد
حال كيف اشتمل المقام على معنى فليمتازوا عنكم الى الجنة واما كونه مشركا بين المعطوف
والمعطوف عليه فى الذى نحن بصدده فى جهات تجمعهما فغير خاف ونحو قوله تعالى
فلما جاءها نودى ان بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين
يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم والق عصاك فان الكلام مشتمل على تضمين

الطلب معنى الخبر وذلك ان قوله والق معطوف على قوله ان بورك
والمعنى فلما جاءها قيل بورك من فى النار وقيل الق عصاك لما عرفت
فى علم النحو ان هذه لا تاتى الا بعد فعل فى معنى القول واذا قيل
كتبت اليه ان ارجع ونادانى ان قم كان بمنزلة قلت له ارجع وقال
لى قم واما قوله وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات بعد قوله
اعدت للكافرين فيعد معطوفا على فاتقوا النار التى وقودها الناس
والحجارة وعندى انه معطوف على قل مرادا قبل يا ايها الناس اعبدوا
ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لكون ارادة القول بوساطة
انصباب الكلام الى معناه غير عزيزة فى القران ومن ذلك وانزلنا
عليكم المن والسلوى كلوا اى وقلنا او قائلين كلوا ومن ذلك واد
واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه
اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا اى وقلنا
او قائلا انت يا موسى كلوا واشربوا ومن ذلك واذ اخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور خذوا اى وقلنا او قائلين خذوا ومن ذلك

واذ

58

واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا اى وقلنا اتخذوا ومن ذلك

واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا اى يقولان ربنا وعليه

قراة عبد الله ومن ذلك ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى على قول اصحابنا

رحمهم الله ومن ذلك ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون

وجوههم وادبارهم وذوقوا اى ويقولون ذوقوا ومن ذلك براءة من الله

ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا اى فقولوا لهم سيحوا وامثال

ذلك هذا اكثر من احصيها ههنا وكذلك عطف قوله وبشر الصابرين الذين اذا

اذا اصابتهم مصيبة على قل مرادا قبل يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة

والصلوة وكذلك عطف وبشر الذين المومنين فى سورة الصف عندى على قل

مرادا قبل يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم وذهب صاحب الكشاف

رحمه الله الى انه معطوف على تومنون قبله لكونه فى معنى امنوا فتامل جميع ذلك

وكن الحاكم دونى او ان يتفق الجملتان خبرا والمقام على حال اشتراك بينهما

فى جوامع ثم كلما كانت الشركة فى اكثر واظهر كان الوصل بالقبول اجدر ولنختم

الكلام فى تفصيل الحالات المقتضية للقطع والاستيناف والابدال والايضاح

والتقرير والانقطاع والتوسط بين بين بهذا القدر ولنذكر لك امثلة لتجد بضبعك

ان عسى عترضتك مداحض اذا اخذت تسلك تلك الطرقات من امثلة القطع

للاحتياط قوله وتظن سلمى انني ابغي بها بدلا اراها في الضلال تهيم لم يعطف اراها

كي لا يحسب السامع العطف على ابغي دون تظن ويعد اراها في الضلال تهيم من مظنونات

سلمى في حق الشاعر وليس هو بمراد انما المراد انه حكم الشاعر عليها بذلك وليس بمستبعد

لانصباب قوله وتظن سلمى انني ابغي بها بدلا الى ايراد فما قولك في ظنها ذلك ان يكون

قد قطع اراها ليقع جوابا لهذا السوال على سبيل الاستيناف واياك ان ترى الفصل لاجل

الوزن فما هو هناك وقوله زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم

الاف لم يعطف لهم الف خيفة ان يظن العطف على ان اخوتكم قريش فيفسد

معنى البيت ولك ان تقول جاء على طريقة الاستيناف قوله لهم الف

وليس لكم الاف وذلك انه ابدى انكار زعمهم عليهم بفحوى الحال

وكان مما يحرك السامعين ان يسالوا لم تنكر فصل قوله لهم الف عما قبله

ليقع جوابا للسوال الذي هو مقتضى الحال ومن امثلة القطع للوجوب

قوله عز من قائل واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن

الله يستهزئ بهم لم يعطف الله يستهزئ بهم للمانع عن العطف

بيان ذلك انه لو عطف لكان المعطوف عليه اما جملة قالوا واما جملة

انا معكم انما نحن مستهزؤن لكن لو عطف على انما نحن مستهزؤن

لشاركه في حكمه وهو كونه من قولهم وليس هو بمراد ولو عطف على قالوا

لشاركه في اختصاصه بالظرف المقدم وهو اذا خلوا الى شياطينهم

لما عرفت في فصل التقديم والتاخير وليس هو بمراد فان استهزاء الله

بهم وهو ان خذلهم فخلاهم وما سولت لهم انفسهم مستدرجا

اياهم من حيث لا يشعرون متصل في شانهم لا ينقطع بكل حال

خلوا الى شياطينهم ام لم يخلوا اليهم وكذلك قوله تع واذا قيل لهم

لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون

قطع الا انهم لئلا يستلزم عطفه على انما نحن مصلحون كونه مشاركا له

في انه من قولهم او عطفه على قالوا كونه مختصا بالظرف اختصاص

قالوا به لتقدمه عليه وهو اذا قيل لهم لا تفسدوا فانهم مفسدون

في جميع الاحيان سواء قيل لهم فيها لا تفسدوا او لم يقل وكذلك

قوله واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انؤمن كما امن السفهاء

الا انهم هم السفهاء قطع الا انهم لمثل ما تقدم في الاية السابقة ولك

ان تحمل ترك العطف في الله يستهزئ بهم على الاستيناف من حيث ان

حكاية حال المنافقين في الذى قبله لما قبله كانت تحرك السامعين

ان يسألوا ما مصير امرهم وعقبى حالهم وكيف معاملة الله اياهم

لم يكن من البلاغة ان يعرى الكلام عن الجواب فلزم المصير الى الاستيناف

وان تقول في الا انهم هم المفسدون ترك العطف فيه للاستيناف

ايضا ليطابق مقتضى الحال وذلك ان ادعاءهم الصلاح لانفسهم

على ما ادعوه مع توغلهم في الافساد مما يشوق السامع ان يعرف ما

ما حكم الله عليهم فكان وروده بدون الواو هو المطلوب كما ترى

وكذا الا انهم هم السفهاء ومن امثلة الاستيناف قوله زعم العواذل

انني في غمرة صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي لم يعطف صدقوا على زعم

العواذل للاستيناف وقد اصاب المحز وذلك لانه حين ابدى الشكاية

عن جماعات العذال بقوله زعم العواذل انني في غمرة وكان مما يحرك

السامع عادة ليسأل هل صدقوا في ذلك ام كذبوا فصار هذا السؤال مقتضى
الحال فبنى عليه تركا للعطف على ما عليه ايراد الجواب عقيب السؤال وكذلك
قوله زعم العواذل ان ناقة جندب بجنوب خبت عريت واجمت كذب
العواذل لو رأين مناخنا بالقادسية قلن لج وذلت فصل كذب العواذل فلم
يعطفه ليقع جوابا للسؤال اقتضاه الحال عند شكواه عن النساء العاذلات
بقوله زعم العواذل انه كان كيت وكيت وهو هل كذب العواذل في ذلك
ام صدقن وكذلك قوله بكى على قتلى العداة فانهم طالت اقامتهم ببطن برام
كانوا على الاعداء نار محرق ولقومهم حرما من الاحرام قطع كانوا للاستيناف
لانه حين امرها بالبكاء كانه توهمها قالت ولم ابكيهم وكيف ابكيهم صفهم لي
كيف كانوا فقال مجيبا كانوا على الاعداء وكذلك قوله عرفت المنزل الخالي
عفا من بعد احوال عفاه كل هتان عسوف الوبل هطال فصل عفاه كل
هتان للاستيناف لانه حين قال عفا من بعد احوال كان مظنة ان يقال
ماذا عفاه وكذلك قوله وما عفت الرياح له محلا عفاه من حدا بهم
وساقا حين قال في محل معفو ما عفته الرياح كان موضع سؤال وهو

فادعاه اذن وكذلك قوله وقد غرضت من الدنيا فهل زمني معط

حيوتي لغرض بعد ما غرضا جربت دهري واهليه فما تركت لي التجارب

في ود امرء غرضا لم يصل جربت بالعطف على غرضت بناء على سوال

ينساق اليه معنى البيت الاول وهو لم تقول هذا ويحك وما الذي

اقتضاك ان تطوى عن الحيوة الى هذه الغاية كشحك وكذلك قوله تعالى

اولئك على هدى من ربهم جاء مفصولاً عما قبله من الاستيناف كانه قيل

ما للمتقين الجامعين بين الايمان بالغيب في ضمن اقامة الصلوة والانفاق

مما رزقهم الله وبين الايمان بالكتب المنزلة في ضمن الايقان بالاخرة اختصوا

بهدى لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره مقولاً في حقهم هدى للمتقين الذين

والذين بتنكير هدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد ولا

مستبدع ان يفوزوا دون من عداهم بالهدى عاجلاً وبالفلاح آجلاً

ولك ان تقدر تمام الكلام هو المتقين وتقدر السؤال عنده وتستانف

الذين يومنون بالغيب الى ساقة الكلام وانه ادخل في البلاغة لكون

الاستيناف على هذا الوجه منطوياً على بيان الموجب لاختصاصهم بما اختص

61

اختصوا به على نحو ما تقول احسنتُ الى زيد صديقك القديم اهل سنك لما

فعلتَ ولك ان تخرج الآية عما نحن بصدده بان تجعل الموصول الاول من توابع

المتقين اما مجرورًا بالوصف او منصوبًا بالاختصاص وتجعل الموصولَ الثانيَ

مبتداءً واولئك خبره مرادًا به التعريض بمن لم يومنوا من اهل الكتاب وستعرف

التعريض جاعلاً الجملة براسها من مستتبعات هدىً للمتقين والفضل من هذه

الوجوه لاستيناف الذين يومنون بالغيب لجهات فتامّلها وكذلك قوله تعالى

هل انبئكم على من تنزّل الشياطين تنزّل على كلّ افاك اثيم فصل تنزّل على كلّ

افاك ليقع جوابًا للسؤال الذى يفطر من قوله هل انبئكم على من تنزّل الشياطين

وهو اى والله نبّئنا على اى مخلوق تنزّل ومن الايات الواردة على الاستيناف في

قوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال ربّ السموات والارض وما بينهما

ان كنتم موقنين قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب ابائكم

الاولين قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون قال ربّ المشرق

والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت إلهًا غيرى لاجعلنك

من المسجونين قال اولو جئتكم بشى مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين

فان الفصل من جميع ذلك بناءً على السؤال الذى يستصحبه تصوّر مقام المقاولة
من نحو فماذا قال موسى فماذا قال فرعون وكذلك قوله تعالى قالوا وجدنا اباءَنا
لها عابدين قال لقد كنتم انتم واباؤكم فى ضلالٍ مبين قالوا اجئتنا بالحق ام انت
من اللاعبين لفصل بناءً على ماذا قال وماذا قالوا وكذلك قوله هل اتيك
حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلامًا قال سلام قوم
منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون فاوجس منهم
خيفة قالوا لا تخف قدّر مع قوله فقالوا سلامًا ماذا قال ابراهيم وقت السلام
ومع قوله فقربه اليهم ماذا قال وقت التقريب ومع قوله فاوجس منهم خيفة
ماذا قالوا حين راوا منه ذلك وسلوك هذا الاسلوب فى القرآن كثير
ومن امثلة البدل قوله اقول له ارحل لا تقيمنّ عندنا والا فكن فى السر والجهر
مسلمًا فصل لا تقيمنّ عن ارحل لقصد البدل لانّ المقصود من كلامه هذا
كمال اظهار الكراهة لاقامته بسبب خلاف سرّه العلن وقوله لا تقيمنّ عندنا اوفى
بتادية هذا المقصود من قوله ارحل لدلالة ذاك عليه بالتضمن مع التجرد عن التاكيد
ودلالة هذا عليه بالمطابقة مع التاكيد وكذلك قوله بل قالوا مثل ما قال الاولون

62

الاولون قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون فصل قالوا ائذا متنا

عن قالوا مثل ما قال الاولون لقصد البدل ولك ان تحمله على الاستيناف لما في

قوله مثل ما قال الاولون من الاجمال المحرك للسامع ان يسأل ماذا قالوا وكذلك

قوله امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون الفصل فيه للبدل

ويحتمل الاستيناف وكذلك قوله اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم اجرا

وهم مهتدون لم يعطف اتبعوا من لا يسألكم للبدل ومن امثلة الايضاح

والتبيين قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين

يخادعون الله لم يعطف يخادعون على ما قبله لكونه موضحا له ومبينا من حيث

انهم حين كانوا يوهمون بالسنتهم انهم امنوا وما كانوا مؤمنين بقلوبهم قد كانوا

في حكم المخادعين وقوله تعالى فوسوس اليه الشيطان قال يا ادم هل ادلك على

شجرة الخلد وملك لا يبلى لم يعطف قال على وسوس لكونه تفسيرا له

وتبيينا ومن امثلة التقرير والتاكيد قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه

هدى للمتقين لم يعطف لا ريب فيه على ذلك الكتاب حين كان وزانه في الآية

وزان نفسه في قولك جاني الخليفة نفسه او وزان بينا في قولك هو الحق

بيّنا يدلك على ذلك انه حين بولغ فى وصف الكتاب ببلوغه الدرجة
القصيا من الكمال والوفور فى شانه تلك المبالغة حيث جعل المبتدء
لفظة ذلك وادخل على الخبر حرف التعريف بشهادة الاصول كما سبقت
كان عند السامع قبل ان يتامّل مظنة ان ينظمه فى مسلك ما قد
يرمى به على سبيل الجُزافِ من غير تحقق وايقان فاتبِعَهُ لاريب فيه
نفيا لذلك وقد اصيب المحز إتباع نفسه الخليفة ازالة لما عسى يتوهم
السامع انك فى قولك جاءنى الخليفة متجوِّزٌ او ساهٍ وتقرير كونه
حالاً موكدة ظاهر وكذلك فصل هدىً للمتقين لمعنى التقرير فيه للذى
قبله لان قوله ذلك الكتاب لاريب فيه مسوق لوصف التنزيل
بكمال كونه هاديًا وقوله هدىً للمتقين تقديره كما لايخفى هو هدىً وان معناه
نفسه هداية محضة بالغة درجة لايكتنه كنهها وانه فى التاكيد والتقرير
لمعنى انه كامل فى الهداية كما ترى واما بيان ان ما قبله مسوق لما ذكر
فما ترى من النظم الشاهد له لاحرازه قصب السبق فى شانه وهو ذلك الكتاب
ثم من تعقيبه بما ينادى على صدق الشاهد ذلك النداء البليغ وهو لاريب فيه

فيه وانك لتعلم ان شان الكتب السماوية الهداية لا غير و بحسبها

يتفاوت شانهن في درجات الكمال وكذلك قوله تعالى ان الذين كفروا

سواءٌ عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم

وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة فصل قوله لا يؤمنون ختم الله

لما كان مقررا لما افاد قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم من ترك

اجابتهم الى الايمان وكذلك فُصِلَ قوله ختم الله على قلوبهم لما كان ثمنا به

لا يؤمنون من جهة اخرى وهي ان عدم التفاوت بين الانذار وعدم

الانذار لما لم يصح الا في حق من ليس له قلب يخلص اليه حق وسمع يد رك به

حجةً وبصر يثبت به عبرةً وقع قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم

وعلى ابصارهم غشاوة مقررا كما ترى وكذلك قوله نوانا معكم انما نحن

مستهزؤن لما كان المراد بانا معكم هو انا معكم قلوبا وكان معناه انا

نوهم اصحابُ محمد صلعم الايمان وقع قوله انما نحن مستهزؤن مقررًا

ففصل ولك ان تحمله على الاستيناف لانصباب انا معكم وهو قول

المنافقين لشياطينهم الى ان يقول لهم شياطينهم فما بالكم ان صح انكم معنا

توافقون اصحاب محمد ع م وكذلك قوله ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فصل
ان هذا الكونه موكدا للاول فى نفى البشرية وذلك ان تقول الذى عليه العرف قبل مسمى
فى حق انسان ماهذا بشرا ماهو بادمى فى حال التعظيم له والتعجب مما يشاهد منه
من حسن الخلق والخلق هو ان يفهم منه انه ملك فوقع قوله ان هذا الا ملك تاكيدا
للملكية ففصل وكذلك قوله كان لم يسمعها كان فى اذنيه وقرا الثانى مقرر للاول
ومن امثلة الانقطاع للاختلاف خبرا وطلبا قوله وقال رايدهم ارسوا نزاولها
فكل حتف امرء يجرى بمقدار فصل قوله نزاولها لان قوله نزاولها خبر وارسوا امر
فامتنع العطف بينهما لاختلافهما خبرا وطلبا وقوله ملكته حبلى ولكنه القاه من
زهد على غاربى وقال اننى فى الهوى كاذب انتقم الله من الكاذب لانه اراد الدعاء
بقوله انتقم وهو طلب وكذلك قولهم مات فلان رحمه الله وكذلك قولهم لا تدن
من الاسد ياكلك وهل تصلح لى كذا ادفع اليك الاجرة بالرفع فيهما وغير ذلك
مما هو فى هذا السلك منخرط ومن امثلته لغير الاختلاف ما اذكره تكون فى حديث
ويقع فى خاطرك بغتة حديث اخر لا جامع بينه وبين ما انت فيه بوجه او بينهما
جامع غير ملتفت اليه لبعد مقامك عنه ويدعوك الى ذكره داع فتورده فى

فى الذكر مفصولاً مثال الاول كنت فى حديث مثل كان معى فلان فقرا ثم خطر بالك
ان صاحب حديثك جوهرى ولك جوهر لا تعرف قيمتها فتعقب كلامك
انك تقول لى جوهرة لا اعرف قيمتها هل اريتكها فتفصل ومثال الثانى وجدت اهل
مجلسك فى ذكر خواتم لهم يقول واحد منهم خاتمى كذا يصفه بحسن صياغةٍ وملاحة
نقشٍ ونفاسةِ فصٍّ وجودة تركيبٍ وارتفاع قيمةٍ ويقول اخر وان خاتمى هذا سيّئ
الصياغة كريه النقش فاسد التركيب ردىّ فى غاية الرداءة ويقول آخر ان خاتمى
بديع الشكل خفيف الوزن لطيف النقش ثمين الفص الا انه واسع لا تمسكه اصبعى
وانت كما قلت ان خاتمى ضيّق تذكرت ضيق خفك وعناك منه فلا تقول وخفى
ضيّق لتبوّ مقامك عن الجمع بين ذكر الخاتم وذكر الخف فتختار القطع فاذا قلت خفى
ضيق قولوا ماذا اعمل او تكون فى حديث قد تم ومعك حديث آخر بعيد التعلّق به
تريد ان تذكره فتورده فى الذكر مفصولاً مثل ما تقول كتاب سيبويه والله كتابٌ
لا نظير له فى فنه ولا غنى لامرئٍ فى انواع العلوم عنه لا سيّما فى الاسلاميه فانه فيها
اساسٌ واىّ اساسٍ انّ الذين رضوا بالجهل لا يدرون ما العلوم وما اساس العلوم
فتفصل ان الذين رضوا بالجهل عمّا قبله لكون ما قبله حديثنا من الجُهّال وسوء مآلهم لهم

جهلهم وقوله عز اسمه ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم

من هذا القبيل قطع ان الذين كفروا عما قبله لكون ما قبله حديثاً من القران وان

من شانه كيت وكيت وكون ان الذين كفروا حديثاً من الكفار ومن تصميمهم في كفرهم

والفصل لازم للانقطاع لان الواو كما عرفت معناه الجمع فالعطف بالواو في مثله

يبرز في معرض التوخي للجمع بين الضب والنون ولذلك متى قال قائل زيد منطلق

ودرجات الحمل ثلثون وكم الخليفة في غاية الطول وما احوجني الى الاستفراغ

واهل الروم نصارى وفي عين الذباب جحوظ وكان جالينوس ماهراً في الطب وختم

القران في التراويح سنة وان القرد لشبيه بالادمي فعطفا اخرج من زمرة

العقلاء وسجل عليه بكمال السخافة او عد مسخرة من المساخر واستطرف نسقه هذا

الى غاية ربما استودع دفاتر المضاحك وسفين نوادر الهذيان بخلافه اذا ترك

العطف ورمى بالجمل رمي الحصى والجوز من غير طلب ايتلاف بينها فالخطب اذاً

يهون هوناً ما ومن هنا عابوا ابا تمام في قوله لا والذي هو عالم ان النوى صبر

وان ابا الحسين كريم حيث تعاطى الجمع بين مرارة النوى وكرم ابي الحسين ومن

التوسط ما نتلو من قوله يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء

69

السماء وما يعرج فيها وقوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغير ذلك

واعلم ان الوصل من محسناته ان تكون الجملتان متناسبتين ككونهما اسميتين او فعليتين

وما شاكل ذلك فاذا كان المراد من الاخبار مجرد نسبة الخبر الى المخبر عنه من غير

التعرض لقيد زايد كالتجدد والثبوت وغير ذلك لزم ان تراعى ذلك فتقول قام

زيد وقعد عمرو او زيد قايم وعمرو قاعد وكذا زيد قام وعمرو قعد وان لا تقول

قام زيد وعمرو قاعد وكذا قام زيد وعمرو قعد وزيداً لقيته وعمرواً مررت به

وزيدا اكرمت اياه وعمرو قاعد ضربت غلامه كما سبق في علم النحو امثال ذلك

اما اذا اريد التجدد في احديهما والثبوت في الاخرى كما اذا كان زيد وعمرو قاعدين

ثم قام زيد دون عمرو وجب ان تقول قام زيد وعمرو قاعد بعدُ وعليه قوله

سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون المعنى سواء عليكم احدثتم الدعوة لهم

ام استمر عليكم الصمت عن دعائهم لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون

اصنامهم لقوله واذا مس الناس الانسان ضر الآية فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا

عن دعوتهم صامتين وكذلك قوله تعالى اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين

المعنى اجددت واحدثت عندنا تعاطي الحق فيما نسمعه منك ام اللعب اى

اى احوال الصبى بعد على استمرارها عليك استبعاداً امنهم ان يكون عبادة

الاصنام من الضلال وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حيث استدرجهم

الى ان قلدوا الاباء فى عبادة تماثيل وتعفير جباههم لها اعتقاداً منهم

فى ذلك انهم على شىء اللهم انا نعوذ بك من كيد الشيطان واذ لخصنا

الكلام فى الفصل والوصل الى هذا الحد فبالحرى ان نلحق به الكلام فى الحال

التى تكون جملة لمجيئها تارة مع الواو واخرى لامعها فنقول وبالله التوفيق

الكلام فى ذلك يستدعى تمهيد قاعدة وهى ان الحال نوعان حال بالاطلاق

وحال تسمى موكدة ولكل واحد من النوعين اصل فى الكلام ولهما معاً

نهج فى الاستعمال واحد فاصل النوع الثانى هو ان يكون وصفا ثابتا نحو

هو الحق بيناً وزيد ابوك شفيقا وذاك حاتم سخيا جواداً هذا خالد

بطلاً شجاعاً وفى التنزيل انا انزلناه قرآنا عربياً واصل النوع الاول

هو ان يكون وصفا غير ثابت من الصفات الجارية كاسم الفاعل واسم

المفعول نحو جاءنى زيد راكبا وسلم على قاعداً وضربت اللص مكتوفاً

وقتلته مقيداً ويمنع ان يقال جاء زيد راكبا طويلاً وقصيراً او اسوداً

او ابيض

او ابيض اللهم الا بتاويل كما تسمع ائمة النحو يتلون عليك جميع ما ذكرت
ونرجهما فى الاستعمال ان ياتيا عاريين عن حرف النفى كما يقال هو الحق بينا
دون لا خفيا وجاء زيد راكبا دون لا ماشيا او ماشيا دون لا راكبا
وحق النوعين ان لا يدخلهما الواو نظرا الى اعرابهما الذى ليس بتبع لان
هذه الواو وان كنا نسميها واو الحال اصلها العطف ونظرا الى ان الحكم
الحال عن ذى الحال ابدا نظير حكم الخبر مع المخبر عنه الا تراك اذا الغيت هو
فى قولك هو الحق بينا بقى الحق بين وجاء فى قولك جاء زيد راكبا بقى زيد
راكب وضربت فى قولك ضربت اللص مكتوفا بقى اللص مكتوف وكذا
الباب فتجد الحال وذا الحال خبرا ومخبرا عنه والخبر ليس موضعا لدخول
الواو على ما سبق تقرير هذا الباب والتحقيق فيه هو ان الاعراب لا ينتظم
الكلمات كقولك ضرب زيد اللص مكتوفا الا بعد ان يكون هناك تعلق معنوى
ينتظم معانيها فاذا وجدت الاعراب فى موضع قد تناول شيئا بدون
الواو كان ذلك دليلا على تعلق هناك معنوى فذلك التعلق يكون
مغنيا عن تكلف معلق آخر واذا عرفت هذا ظهر لك ان الاصل فى الجملة

اذا وقعت موقع الحال ان لا يدخلها الواو ولكن النظر اليها من حيث

كونها جملة مفيدة مستقلة بفائدة غير متحدة بالاولى اتحادها اذا كانت مؤكدة

مثلها في قولك هو الحق لا شبهة فيه وفي قوله عز من قائل الم ذلك الكتاب

لا ريب فيه وغير منقطعة عنها لجهات جامعة بينهما كما ترى في نحو جاء زيد

تقاد الجنائب بين يديه ولقيت عمروا وسيفه على كتفه يبسط العذر في ان

لا يدخلها واو للجمع بينها وبين الاولى مثله في نحو قام زيد وقعد عمرو واذا

تمهد هذا فنقول الضابطة فيما نحن بصدده هو ان الجملة متى كانت واردة

على اصل الحال وذلك ان تكون فعلية لا اسمية لان الاسمية كما تعلم دالة

على الثبوت وعلى نهجها ايضا بان يكون مثبتة فالوجه ترك الواو جريا على موجب

الحال نحو جاءني زيد يسرع او يتكلم او يعدو فرسه ولذلك لا تكاد تسمع

نحو جاءني ويسرع ومتى لم تكن واردة على اصل الحال وذلك ان تكون اسمية

في الحال غير المؤكدة فالوجه الواو نحو جاء زيد وعمرو امامه ورايت زيدا

وهو قاعد ما جاء بخلاف هذا الاصل معدودة الحسنى بالنوادر وهي كلمته فوه

الى في ورجع عوده على بدئه وبيت الاصلاح نصف النهار الماء غامره وبنا

ورفيقة بالغيب لا يدرى وما انشده الشيخ ابو على فى الاغفال ولولا جناح
الليل ما آبَ عامرٌ الى جعفرٍ سرباله لم يمزّق ومتى كانت واردةً على اصل
الحال لكن لا على نهجها فالوجه جواز الامرين معًا نحو قولك جعلت امشى
ما ادرى اين اَضَعُ رجلى وجعلت امشى وما ادرى اين اضع رِجلى
وقوله مضوا لا يريدون الرّواح وغالهم من الدهر اسباب جرين على قدرٍ
وقوله لو ان قومًا لارتفاعَ قبيلةٍ دخلوا السماء دَخلتها لا اُحجَبُ وقوله
اكسَبَتهُ الوَرِقُ البيضُ اَبًا ولقد كان ولا يُدعَى لِاَبْ وقوله اقادوا من دمى
وتوعّدونى وكنتُ وما يُنَهنِهُنى الوعيد الآن ترك الواو ارجح والفعل الماضى
منفيا ومثبتًا لو رده لا على نهج الحال لا محالة اما منفيا فلحرف فى سلك المضارع
المنفى النفى واما مثبتًا فلحرف قد ظاهرًا او مقدرًا ليقرّبه من زمانك حتى
يصلح للحال منتظم فى سلك المضارع المنفى لك ان تقول اَخَذْتُ اَجتَهِدُ ما كان
يُعيننى احدٌ وان تقول اخذت اجتهد وما كان يعيننى احدٌ وكذا اتانى
قد جهدَهُ السير بدون الواو وقد جهده السير بالواو والآن ترك الواو
فى النفى وفى الاثبات ارجح واما الظرف فحيث احتمل ان يكون جملة فعلية

وان لا يكون بحسب التقدير وتردد لذلك بين ان يكون واردا على اصل

وغير وارد جاء الامران فيه يقال رايته على كتفه سيف بدون الواو تارة

ورايته وعلى كتفه سيف بالواو اخرى هذا ثم من عرف السبب في تقديم

الحال اذا اريد ايقاعها عن النكرة تنبه لجواز عن ايقاعها عن النكرة مع الواو

في مثل جاءني رجل وعلى كتفه سيف ولم يجوز في قوله عز اسمه وما اهلكنا

من قرية الا ولها كتاب معلوم على ما قدمت وتنبه لوجوب الواو في نحو جاءني

رجل وعلى كتفه سيف عند ارادة الحال ولوجوب تركه عند ارادة الوصف

لامتناع عطف الصفة على موصوفها البتة فتامل واما ليس فلما قام مع خبره

مقام الفعل المنفي جاء كثيرا اتاني وليس معه غيره واتاني ليس معه غيره قال

اذا جرى في كفه الرشاء خلى القليب ليس فيه ماء الا ان ذكر الواو ارجح ووقوعه

في الكلام ادور واما الحالات المقتضية لطي الجمل عن الكلام ايجازا ولا طيها

اطنابا فمن احاط علما بما سبق استغنى بذلك عن بسط الكلام ههنا فلنقتصر على بيان

معنى الايجاز والاطناب وعلى ايراد عدة امثلة من الجانبين اما الايجاز والاطناب

فلكونهما نسبيين لا يتيسر الكلام فيهما الا بترك التحقيق والبناء على عرف مثل جعل

شئ م

68

جعل لو سا كلام الاوساط على مجرى متعارفهم فى التادية للمعانى فيما بينهم

ولابد من الاعتراف بذلك مقيسا عليه ولنسمه متعارف الاوساط وانه فى باب

البلاغة لا يحمد منهم ولا يذم فالايجاز هو اداء المقصود من الكلام باقل من عبارات

متعارف الاوساط والاطناب هو اداؤه باكثر من عباراته سواء كانت القلة او

الكثرة راجعة الى الجمل او الى غير الجمل هذا وقد تليت عليك فيما سبق طرف الاختصار

والتطويل فليتن فهمها لتعرفن ان الوجازة متفاوته وبين وجيز واوجز

مراتب لا تكاد تنحصر والاطناب كذلك وعرفت من ذلك معنى قول

القائل فى وصف البلغاء يرمون بالخطب الطوال وتارة وحى الملاحظ

خيفة الرقباء وذكرت لك ايضا للاختصار والتطويل مقامات قد ارشدت

بها الى مناسباتها فما صادف من ذلك موقعه حمد والا ذم وسمى الايجاز

اذ ذاك عيا وتقصيرا والاطناب اكثارا وتطويلا والعلم فى الايجاز

قوله علت كلمته فى القصاص حيوة واصابته المحز بفصله على ما كان عليه

عندهم اوجز كلام فى هذا المعنى وذلك قولهم القتل انفى للقتل ومن الايجاز

قوله هدى للمتقين ذهابا الى ان المعنى هدى للضالين الصائرين

الى التقوى بعد الضلال لما ان الهدى اى الهداية انما تكون للضال لا للمهتدى
ووجه حسنه قصد المجاز المستفيض نوعه وهو وصف الشئ بما يؤول اليه
والتوصل به الى تصدير اولى الزهراوين بذكر اولياء الله تعالى وقوله تعـ
فغشيهم من اليم ما غشيهم اظهر من ان يخفى حاله فى الوجازة نظراً الى ما ناب
عنه وكذا قوله ولا ينبئك مثل خبير وانظر الى الفاء التى تسمى فاءً فصيحة فى قوله
فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم كيف
افادت فامتثلتم فتاب عليكم وفى قوله فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت
مفيدة فضرب فانفجرت وتامل قوله فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى
وقدر صاحب الكشاف رحمه الله اصل قوله ولقد اتينا داود وسليمان علماً
وقالا الحمد لله نظراً الى الواو فى وقالا ولقد اتينا داود وسليمان علما فعملا به
وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله ويحتمل عندى انه
تعالى
اخبر عما صنع بهما واخبر عما قالا كانه قال نحن فعلنا ايتاء العلم وهما فعلا
الحمد تفويضاً استفادة ترتب الحمد على ايتاء العلم الى فهم السامع مثله فى قم
يدعوك بدل قم فانه يدعوك وانه فن من البلاغة لطيف المسلك ومن امثلة

الاختصار

الاختصار قوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا بطى ابحت لكم الغنايم لدلالة

فاء التسبيب فى فكلوا وقوله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم بطى ان افتخرتم

بقتلهم فلم تقتلوهم انتم فعدلوا عن الافتخار لدلالة الفاء فى فلم وكذا قوله

فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة اذ المعنى اذا كان ذلك فما هى الا زجرة

واحدة وكذا قوله فالله هو الولى تقدير ان ارادوا وليا فالله هو الولى بالحق

لا ولى سواه وكذا قوله يا عبادى الذين امنوا ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون

اصله فان لم يتات ان تخلصوا العبادة لى فى ارض فاياى فى غيرها اعبدوا

فاعبدون اى فاخلصوها لى فى غيرها فحذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول

مع ارادة الاختصاص بالتقديم وقوله كلا فاذهبا بآياتنا اى ارتدع عن خوف

قتلهم فاذهبا اى فاذهب انت واخوك بدلالة كلا على المطوى وقوله اذ يلقون

اقلامهم ايهم يكفل مريم اصله اذ يلقون اقلامهم ينظرون ليعلموا ايهم يكفل

مريم لدلالة ايهم على ذلك بوساطة علم النحو وقوله ليحق الحق ويبطل الباطل المراد

ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ما فعل وكذا قوله ولنجعله آية للناس اصل الكلام

ولنجعله آية فعلنا ما فعلنا وكذا قوله ليدخل الله فى رحمته اى لاجل الادخال فى الرحمة

كان الكف والمنع التعذيب وقوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال

فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا اذا لم يفسر

الحمل بمنع الامانة والغدر وارید التفسير الثانی وهو تحمل التکلیف کان اصل

الکلام وحملها الانسان ثم خاس به منبها علیه بقوله انه کان ظلوما جهولا الذی

هو توبیخ للانسان علی ما هو علیه من الظلم والجهل فی الغالب وقوله افمن زین له

سوء عمله فراه حسنا تتمته ذهبت نفسك علیهم حسرة فحذفت لدلالة فلا تذهب

نفسك علیهم حسرات او تتمته كمن هداه الله فحذفت لدلالة فان الله یضل من یشاء

ویهدی من یشاء وقول العرب جاء بعد اللتيا والتی بترك صلة الموصول ایثارا

للایجاز تنبیها علی ان المشار الیها باللتیا والتی وهی المحنة او الشداید بلغت من

شدتها وفظاعة شانها مبلغا یبهت الواصف معها حتی لا یحیر ببنت شفة ومن الا

ایجاز قوله عز قائلا قل اتنبئون الله بما لا یعلم ای بما لا ثبوت له ولا علم الله

تعالی متعلق به نفیا للملزوم وهو المنبا به بنفی لازمه وهو وجوب کونه معلوما

للعالم الذات لو کان له ثبوت بای اعتبار کان وقوله ان الذین کفروا بعد ایمانهم

ثم ازدادوا کفرا لن تقبل توبتهم اصله لن یتوبوا فلن یکون قبول توبة فاوثر

الايجاز ذهابًا الى انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم وهو قبول التوبة الواجب فى حكمته تعالى

وتقدس وقوله بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا اى شركاء لا ثبوت لها اصلًا ولا انزل الله

باشراكها حجة اى تلك وانزال الحجة كلاهما منتفٍ على اسلوب قوله على لاحبٍ لا يهتدى

بمنارة اى لا منار ولا اهتداء به وقوله ولا ترى الضب بها ينجحر اى لا ضب ولا انجحار

نفيًا للاصل والفرع ومنه وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم اذ المراد

لا ذاك ولا علمك به اى كلاهما غير ثابت وكذا ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع اى

لا شفاعة ولا طاعة ومن الايجاز قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملًا صالحًا

وآخر سيئًا اصل الكلام خلطوا عملًا صالحًا بسيئ وآخر سيئًا بصالح لان الخلط يستدعى

مخلوطًا ومخلوطًا به اى تارة اطاعوا واحبطوا الطاعة بكبيرة واخرى عصوا وتداركوا

المعصية بالتوبة وقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف اصله قل لهم قولى

لك ان ينتهوا يغفر لهم وكذا قوله قل للذين كفروا ستغلبون فيمن قرأ بياء الغيبة وقوله

انا ارسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا لتؤمنوا بياء الخطاب ومن امثلة الاطناب قوله تعالى

ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع

الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة

وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون

ترك ايجازه وهو ان في ترجح وقوع اى ممكن كان على لاوقوعه لايات للعقلاء لكونه

كلاماً لامع الانس فحسب بل مع الثقلين ولامع قرنٍ دون قرن بل مع القرون كلهم

قرناً فقرناً الى انقراض الدنيا وان فيهم لمن توقف وتقدر من مرتكبي التقصير في باب النظر

والعلم بالصانع من طوائف الغواة فقل لي اى مقام للكلام ادعى لترك ايجازه الى الاطناب

من هذا وقوله قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق

ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لانفرق بين

احدٍ منهم ونحن له مسلمون اوثر الاطناب فيه على ايجازه وهو امنا بالله وبجميع كتبه

لما كان بمسمع من اهل الكتاب وفيهم من لايؤمن بالتورية والقران وهم النصارى

القائلون ليست اليهود على شئ وفيهم من لايؤمن بالانجيل وبالقران وهم اليهود وكل

منهم متبع للايمان بجميع ما انزل الله تفريقاً لاهل الكتاب وليبتهج المؤمنون بما نالوا

من كرامة الاهتداء ووقع الايجاز عن طباق المقام بمراحل وقوله وواتقوا يوماً لا تجزى

نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لم يؤثر

ايجازه وهو واتقوا يوماً لا خلاص عن العقاب فيه لكل من جاء مذنباً اذ كان كلاماً مع

مع الامة لتنقش صورة ذلك اليوم فى ضمائرهم وفى الامة الجاهل والعالم والمعترف والجاحد

والمسترشد والمعاند والفهم والبليد لئلا يختص المطلوب منهم بفهم احد دون احد وان لايكون

بحيث يناسب قوة سامع دون سامع او يخلص الى ضمير بعض دون بعض وقوله الذين

يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به لو اريد اختصاره لما انخرط فى الذكر

يؤمنون به اذ ليس احد من مصدقى حملة العرش برتاب فى ايمانهم ووجه حسن ذكره اظهار

شرف الايمان وفضله والترغيب فيه وقوله اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله

والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لو اثر اختصاره فقوله والله

يعلم انك لرسوله فضل فى البين من حيث ان مساق الاية لتكذيب المنافقين فى دعوى

الاخلاص فى الشهادة لترك ولكن ايهام رد التكذيب الى نفس الشهادة لو لم يكن

هذا الفضل انى الاختصار وما يحكيه عن موسى عم هى عصاى اتوكاء عليها واهش

بها على غنمى ولى مآرب اخرى جوابا عن قوله وما تلك بيمينك يا موسى وكذا ما يحكيه

نعبد اصناما فنظل لها عاكفين فى الجواب عن قول ابراهيم ما تعبدون من باب الاطناب

اذ لو اريد الايجاز لكفى عصاى واصناما وقد سبق وجه حسن الاطناب فيهما ومما

يعد من الاطناب وهو فى موقعه قول الخضر لموسى عليهما السلام فى الكرة الثانية الم اقل لك

بزيادة لك لاقتضاء المقام مزيد تقرير لما قد كان قدّم له من انك لن تستطيع معى

صبرًا وكذا قول موسى رب اشرح صدرى بزيادة لى لاكتساء معها من تاكيد الطلب

لانشراح الصدر ما لا يكون بدونه الاترك اذا قلت اشرح لى افاد ان شيئًا ما عندك

تطلب شرحه فكنت مجملاً فاذا قلت صدرى عدت مفصلاً وان كان الطلب في

الارسال الذى هو مقام مزيد احتياج الى انشراح الصدر لما يودى بر الرسالة من تلقى

المكاره وضروب الشدايد وقوله تعالى الم نشرح لك صدرك وارد على هذا النوع

مزيد التقرير وقول البلغاء فى الجواب مثل لا واصلحك الله بزيادة الواو خلافًا لما عليه

كلام الاوساط من الاطناب فى موقع ولك ان تعدّ باب نعم وبئس موضوعًا على الاطناب

اذ لو اريد الاختصار لكفى نعم زيد وبئس عمرو وان تجعل الحكمة فى ذلك توخى تقرير المدح

او الذم لاقتضائهما مزيد التقرير لكونهما للمدح العام والذم العام الشايعين فى كل خصلة

محمودة ومذمومة المستبعد تحققهما وهو ان يشيع كون المحمود محمودًا فى خصال الحمد وكون

المذموم مذمومًا فى خلافها وتجعل وجه التقرير الجمع بين طرفى الاجمال والتفصيل الاترك

اذا قلت نعم الرجل مريدًا باللام الجنس دون العهد كيف توجه المدح الى زيد ولا على سبيل

الاجمال لكونه من افراد ذلك الجنس او اذا قلت نعم رجلاً فاضمرته من غير ذكر له سابق

72

وفسرته باسم جنسه ثم اذا قلت زيد كيف يوجه اليه ثانيًا على سبيل التفصيل ثم ان هذا
الباب باب متضمن للطايف فيه من الاطناب الواقع فى موقعه ما ترى وفيه تقدير السؤال
وبناء المخصوص عليه يقدر بعد نعم الرجل ونعم رجلاً من هو ويبنى عليه زيد اى هو زيد
وقد عرفت فيما سبق لطف هذا النوع وفيه اختصار من جهة وهو ترك المبتدإ فى الجواب
ولا يخفى حسن موقعه ولو لم يكن فيه شىء سوى انه يبرز الكلام فى معرض الاعتدال نظرا الى
اطنابه من جهة وجه والى اختصاره من آخر او ايهامه الجمع بين المتنافيين مثله فى جمعه بين الاجمال
والتفصيل لجنبى السحر الكلامى الذى يقرع سمعك على امثال ذلك لكفى وقد اطلعناك على كيفية
التوصل لجهات الحسن ففتش عنها تر الباب مشحونا بجهات وكنت المرجوع اليه فى اختيار المختار
من اقوال النحويين فى الباب كقول من يرى المخصوص مبتدأً والفعل مع الذى يليه خبرًا مقدمًا
وقول من يرى المخصوص خبر مبتدإٍ محذوف على ما رايت وقول من لا يرى اللام فى الفاعل
الا للجنس وقول من لا يأبى كونها للتعريف العهد واعلم ان باب التمييز كله سواء كان عن مفرد
او عن جملة باب مزال عن اصله لتوخى الاجمال والتفصيل الا تراك تجد الامثلة الواردة
من نحو عندى منوان سمنًا وعشرون درهمًا وملء الاناء عسلاً وطاب زيد نفسًا وطار
عمرو فرحًا وامتلاء الاناء ماءً متأديةً على ان الاصل عندى سمن منوان ودراهم عشرون

وعسل ملؤ الاناء وطابت نفس زيد وطيّر الفرح عمراً وملاء الماء الاناء ولمصادفة

الاجمال والتفصيل الموقع فيما يحكيه جلّ وعلا عن زكريا عليه من قوله واشتعل الراس

شيباً في مقام المبالغة وحين التلقى لتقابع انقراض الشباب ترى ما ترى من مزيد الحسن

وفى هذه الجملة وفيما يحكيه قبلها من رب انى وهن العظم منى لطايف واية كلمة فى القرآن

فضلاً عن جملة فضلاً عما تجاوزها تحتوى على لطايف ولا مرتما تُلى على من كانوا النهاية فى

فصاحة البشر وبلاغة اهل الوبر منهم والمدر وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا

صفة
فاتوا بسورة من مثله واحار وا ببنت شفة ولا صدروا هنالك عن موصوف ولا

على انهم كانوا الحراص على التسابق فى رهان المفاخر والمتهالكين على ركوب الشطط فى

صيت
استهان المفاخر تابى لهم العصبية ان لا يرد عضب مفاخرهم كهاماً او ان لا يعد

مطرا نترجها ماً والكلام فى تلك اللطايف مفتقرٌ الى اخذ اصل معنى الكلام ومرتبته

الاولى ثم النظر فى التفاوت بين ذلك وبين ما عليه نظم القرآن وفى كم درجة

يتصل احد الطرفين بالآخر فنقول لا شبهة ان اصل معنى الكلام ومرتبته الاولى

يا ربى قد شخت فان الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض لهما

ثم تركت هذه المرتبة الثانية لاشتمالها على التصريح الى ثالثة ابلغ وهى الكناية

فى وهنت عظام بدنى لما ستوف ان الكناية ابلغ من التصريح ثم لقصد مرتبة رابعة

ابلغ فى التقرير بنيت الكناية على المبتداء فحصل انا وهنت عظام بدنى ثم لقصد خامسة

ابلغ ادخلت ان على المبتداء فحصل انى وهنت عظام بدنى ثم لطلب تقرير ان

الواهن هى عظام بدنى قصدت مرتبة سادسة وهى سلوك طريق الاجمال والتفصيل

فحصل انى وهنت العظام من بدنى والذى فى تقرير معنى الاجمال والتفصيل فى رب

اشرح لى صدرى ينبه عليه ههنا ثم لطلب مزيد اختصاص العظام به قصدت

مرتبة سابعة وهى ترك توسيط البدن فحصل انى وهنت العظام منى ثم لطلب

شمول الوهن العظام فردا فردا قصدت مرتبة ثامنة وهى ترك جمع العظم الى الافراد

لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد فحصل ما ترى وهو الذى فى الآية

انى وهن العظم منى وهكذا تركت الحقيقة فى شاب رأسى الى ابلغ وهى الاستعارة

فسياتيك ان الاستعارة ابلغ من الحقيقة فحصل اشتعل شيب رأسى ثم تركت الى

ابلغ وهى اشتعل رأسى شيبا وكونها ابلغ من جهات احديها اسناد الاشتعال الى الراس

لافادة شمول الاشتعال الراس اذ وزان اشتعل شيب رأسى واشتعل الراس شيبا

وزان اشتعل النار فى بيتى واشتعل بيتى نارا والفرق نير وثانيتها الاجمال والتفصيل

في طريق التمييز وثالثها تنكير شيبًا لافادة المبالغة ثم ترك اشتعل رأسي شيبًا للتوخي
مزيد التقرير اي اشتعل الرأس مني شيبًا على نحو وهن العظم مني لقرينة عطف واشتعل
الرأس على وهن العظم مني لمزيد لفظ مزيد التقرير وهو ايهام حوالة تأدية مفهومه
على العقل دون اللفظ واعلم ان الذي فتق اكمام هذه الجهات عن ازاهير القبول في القلوب
هو ان مقدمة هاتين الجملتين وهي رب اختصرت ذلك الاختصار بان حذفت كلمة
النداء وهي يا وحذفت كلمة المضاف اليه وهي ياء المتكلم واقتصر من مجموع الكلمات
على كلمة واحدة فحسب وهي المنادى والمقدمة للكلام كما لا يخفى على من له قدم صدق
في نهج البلاغة نازلة منزلة الاساس للبناء فكما ان البناء الحاذق لا يرى الاساس الا بقدر
ما يقدر من البناء عليه كذلك البليغ يصنع بمبدأ كلامه فمتى رايته اختصر المبدأ
فقد اذنك باختصار ما يورده ثم ان الاختصار لكونه من الامور النسبية يرجع
في بيان دعواه الى ما سبق تارة والى كون المقام خليقًا بابسط مما ذكر اخرى والذي
نحن بصدده من القبيل الثاني اذ هو كلام في معنى انقراض الشباب والمام المشيب وهل معنى
احق بان يعتري القائل فيه افاويق المجهود ويستغرق في الانباء عنه كل جهد معهود
من انقراض ايام ما اصدق من يقول فيها وقد تعوضت من كل بمشبهه فما وجدت

74

فما وجدت لايام الصبا عوضا ومن المام المشيب المعيب لمر الطلوع الامر المغيب

تعيب الغانيات على شيبي ومن لي ان امتع بالمعيب اللهم زدنا اطلاعا على لطايف

قرانك الكريم وعوضا على الآئي فرقانك العظيم ووفقنا لابتغاء مرضاتك في طلوع المشيب

المر واختم بالخير في مغيبه الامر فانه لا يكون الا ما تشاء بيدك الامر كله وليكن هذا

اخر الكلام في الفن الرابع ولنعد الى الفصل الموعود وهو الكلام في معنى القصر فصل

اعلم ان القصر كما يجرى بين المبتداء والخبر فيقصر المبتداء تارة على الخبر والخبر على المبتداء

اخرى يجرى بين الفعل والفاعل وبين الفاعل والمفعول وبين المفعولين وبين الحال وذى

الحال وبين كل طرفين وانت اذا اتقنته في موضع ملكت الحكم في الباقي ويكفيك مجرد

التنبيه هناك وحاصل معنى القصر راجع الى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف

دون ثان كقولك زيد شاعر لا منجم لمن تعتقده شاعرا او منجما او كقولك زيد قايم لا قاعد

لمن يتوهم زيدا على احد الوصفين من غير ترجيح ويسمى هذا قصرا افراد بمعنى انه يزيل شركة

الثاني او بوصف مكان وصف آخر كقولك لمن يعتقد زيدا منجما لا شاعرا ما زيد منجم

بل شاعر او زيد شاعر لا منجم ويسمى هذا قصر قلب بمعنى ان المتكلم يقلب فيه حكم السامع

او الى تخصيص الوصف بموصوف قصرا افراد كقولك ما شاعر الا زيد لمن يعتقد زيدا

محمد
قصر

شاعرًا لكن تدعى شاعرًا آخر وقولك ما قايم الا زيد لمن يعتقد قايمين او اكثر فى جهة من الجهات معينة او قصر قلب كقولك ما شاعر الا زيد لمن يعتقد ان شاعرًا فى قبيلة معينة او طرف معين لكنه يقول ما زيد هناك شاعر وللقصر طرق اربعة احدها طريق العطف كما تقول فى قصر الموصوف على الصفة افرادًا او قلبا بحسب مقام السامع زيد شاعر لا منجم او ما زيد منجم بل شاعر وفى قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين ما عمرو شاعر بل زيد او زيد شاعر لا عمرو او لا غير بتقدير لا غير زيد الا انك تترك الاضافة لدلالة الحال وتبنى غيرا على الضم على نحو بناء الغايات او ليس غير او ليس الا بتقدير ليس شاعر غير المذكورين او الا المذكور فتجعل النفى عاما ليتناول كل شاعر يعتقد السامع ممن عدا زيدًا والفرق بين قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف واضح فان الموصوف فى الاول لا يمتنع ان يشاركه غيره فى الوصف ويمتنع فى الثانى وان الوصف فى الثانى يمتنع ان يكون لغير الموصوف ولا يمتنع فى الاول وثانيها النفى والاستثناء كما تقول فى قصر الموصوف على الصفة افرادا او قلبا ليس الا شاعرًا او ما زيد الا شاعر او ان زيد الا شاعر او ما زيد الا قايم او ما زيد الا يقوم ومن الوارد فى التنزيل على قصر الافراد قوله تعالى وما محمد الا رسول فمعناه محمد مقصور على الرسالة لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك نزل المخاطبون لاستعظامهم ان لا يبقى لهم منزلة

منزلة المبعدين لهلاكه وهو من اخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر وقوله تعالى ان حسابهم
الا على ربى لو تشعرون فمعناه حسابهم مقصور على الاتصاف بعلى ربى لا يتجاوزه الى ان
يتصف بعلى وقوله وما انا بطارد المؤمنين ان انا الا نذير فمعناه انا مقصور على النذارة
لا اتخطاها الى طرد المؤمنين وقوله تعالى وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون فالمراد
لستم فى دعواكم للرسالة عندنا بين الصدق وبين الكذب كما يكون ظاهر حال المدعى اذا ادعى
بل انتم عندنا مقصورون على الكذب لا يتجاوزونه الى حق كما تدعونه وما معكم من الرحمن
منزل فى شان رسالتكم ومن الوارد على قصر القلب قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ما قلت لهم
الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله لانه قال فى مقام اشتمل على معنى انك يا عيسى لم تقل للناس
ما امرتك لانى امرتك ان تدعو الناس الى ان يعبدونى ثم انك دعوتهم الى ان يعبدوا
من هو دونى الا ترى الى ما قبله واذ قال الله يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس اتخذونى
وامى الهين من دون الله وفى قصر الصفة على الموصوف افرادا ما شاعر الا زيد او ما جاء
الا زيد لمن يرى الشعر لزيد ولعمرو او المجيء لهما وقلبا ما شاعر الا زيد ما جاء الا زيد لمن يرى
ان زيدا ليس بشاعر وان زيدا ليس بجاء وتحقيق وجه القصر فى الاول هو انك بعد علمك
ان نفس الذوات يمتنع نفيها وانما تنفى صفاتها وتحقيق ذلك يطلب من علوم اخر متى قلت

ما زيد توجه النفي الى الوصف وحين لا نزاع في طوله ولا قصره ولا سواده ولا بياضه

وما شاكله ذلك وانما النزاع في كونه شاعرًا او منجمًا يناولهما النفي فاذا قلت الا شاعر

جاء القصر وتحقيق وجه القصر في الثاني هو انك متى دخلت النفي على الوصف

المسلم ثبوته وهو وصف الشعر وقلت ما شاعرًا وما من شاعر توجه بحكم العقل

الى ثبوته للمدعى له ان عامًّا كقولك في الدنيا شعراء او في قبيلة كذا وان خاصًّا كقولك

زيد وعمرو شاعران فيتناول النفي ثبوته لذلك فمتى قلت الا زيدًا افاد القصر وثانيها

استعمال انما كما تقول في قصر الموصوف على الصفة قصر افراد انما زيد جاء انما زيد يجيء

لمن يردده بين المجيء والذهاب من غير ترجيح لاحدهما او قصر قلب لمن يقول زيد ذاهب

لا جاء وفي تخصيص الصفة بالموصوف افرادًا انما يجيء زيد لمن يردد المجيء بين زيد

وعمرو او يراه منهما وقلبا لمن يقول لا يجيء زيد ويضيف اليه الذهاب والسبب في افادة

انما معنى القصر هو تضمينه معنى ما والا ولذلك تسمع المفسرين لقوله انما حرم عليكم

الميتة والدم ولحم بالنصب يقولون معناه ما حرم عليكم الا الميتة والدم وهو المطابق

لقراءة الرفع المقتضية لانحصار التحريم على الميتة والدم بسبب ان ما في قراءة الرفع

يكون موصولا صلته حرم عليكم واقعًا اسمًا لان ويكون المعنى ان المحرم عليكم الميتة

والدم

٢٦

والذم وقد سبق ان قولنا المنطلق زيد وزيد المنطلق كلاهما يقتضي انحصار الانطلاق

على زيد وترى ائمة النحو يقولون انما تاتي اثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه وتذكرون

لذلك وجها لطيفا يسند الى علي بن عيسى الربعي رحمه وانه كان من اكابر ائمة النحو

ببغداد وهو ان كلمة ان لما كانت لتاكيد اثبات المسند للمسند اليه ثم اتصلت بها ما

المؤكدة لا النافية على ما يظنه من لا وقوف له بعلم النحو ضاعف تاكيدها فناسب ان يضمن

معنى القصر لان قصر الصفة على الموصوف وبالعكس ليس الا تاكيدا للحكم على تاكيد

الا تراك متى قلت لمخاطب يردد المجيء الواقع بين زيد وعمرو زيد جاء لا عمرو وكيف

قولك زيد جاء اثباتا للمجيء لزيد صريحا وقولك لا عمرو اثباتا ثانيا للمجيء لزيد ضمنا

ومما ينبه على انه متضمن معنى ما والا صحة انفصال الضمير معه كقولك انما يضرب

انا تقول في ما يضرب الا انا قال الفرزدق انا الذائد الحامي الذمار وانما يدافع

عن احسابهم انا او مثلي كما قال عمرو قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس الا انا

ورابعها التقديم كما تقول في قصر الموصوف على الصفة تميمي انا قصر افراد لمن يردد

بين قيس وتميم او قصر قلب لمن ينفيك عن تميم ويلحقك بقيس وكذا قائم هو او قاعد هو

الاعتبارين بحسب المقام وفي قصر الصفة على الموصوف افرادا انا كفيت مهمك

بمعنى وحدى لمن يعتقد انك و زيداً كفيتما مهمة وقلبا انا كفيت مهمك بمعنى لا غيرى

لمن يعتقد كما فى محمد عبرك وكذا زيدا ضربت اوما زيدا ضربت بالاعتبارين

على ما تضمن ذلك فصل التقديم وهذه الطرق تتفق من وجه وهو ان المخاطب معها

يلزم ان يكون حاكما حكما مشوبا بصواب وخطاء وانت تطلب بها تحقيق صوابه

ونفى خطائه يحقق فى قصر القلب كون الموصوف على احد الوصفين او كون الوصف

لاحد الموصوفين وهو صوابه وتنفى تعيين حكمه وهو خطاؤه ويحقق فى قصر الافراد

حكمه فى بعض وهو صوابه وتنفيه عن البعض وهو خطاؤه وتختلف من وجوه فالطرق

الاول الثلث دلالتها على التخصيص بواسطة الوضع وجزم العقل ودلالة التقديم

عليه بواسطة الفحوى وحكم الذوق والطريق الاول الاصل فيه النص للمثبت وللمنفى

النص كما ترى فى قولك زيد شاعر لا منجم فى قصر الموصوف على الصفة و زيد شاعر لا عمرو

فى قصر الصفة على الموصوف لا يترك النص البتة الا حيث يورث تطويلا ويكون المقام

اختصاريا كما اذا قلت المخاطب زيد يعلم الاشتقاق والصرف والنحو والعروض وعلم

القافية وعلم المعانى وعلم البيان فتقول زيد يعلم الاشتقاق لا غير او ليس غير او ليس

الا او كما اذا قال زيد يعلم النحو وعمرو وبكر وخالد وفلان وفلان فتقول زيد يعلم

النحو

22

النحو لا غير والطرق الاخيرة الاصل فيها النص بما يثبت دون ما ينفي كما ترى في قولك
ما انا الا تميمي وانما انا تميمي وتميمي انا في قصر الموصوف على الصفة وفي قصر الصفة
على الموصوف ما يجي الا زيد وانما يجي زيد وهو يجي والطريق الاول لا يجامع
الثاني فلا يصح ما زيد الا قايم لا قاعد ولا ما يقوم الا زيد لا عمرو
والسبب في ذلك هو ان لا العاطفة من شرط منفيها ان لا يكون منفيًا
قبلها بغيرها من كلمات النفي نحو جاء زيد لا عمرو ونحو زيد قايم لا قاعدًا
او متحرك لا ساكن او موجود لا معدوم ويمتنع تحقق شرطها هذا في
منفيها اذا قلت ما يقوم الا زيد لا عمرو او ما زيد الا قايم لا قاعد والذي
سبق في تحقيق وجه القصر في النفي والاستثناء يكشف لك الغطاء ويجامع
الطريقين الاخرين فيقال انما انا تميمي لا قيسي وتميمي انا لا قيسي وانما ياتيني
زيد لا عمرو وهو ياتيني لا عمرو ووجه صحة مجامعة لا العاطفة انما مع امتناع
مجامعتها ما والا عين وجه صحة ان يقال امتنع عن المجي زيد لا عمرو مع
امتناع ان يقال ما جاء زيد لا عمرو وهو كون معنى النفي في انما وفي قولك
امتنع عن المجي ضمنًا لا صريحًا لكن اذا جامعت لا العاطفة انما جامعتها بشرط

ثم هو ان لا يكون الوصف بعد انما مما له في نفسه اختصاص بالموصوف
المذكور كقوله عز اسمه انما يستجيب الذين يسمعون فان كل عاقل يعلم
انه لا يكون استجابة الا ممن يسمع ويعقل وقوله تعالى انما انت منذر
من يخشاها فلا يخفى على احد ممن به مسكة ان الانذار انما يكون انذارا
ويكون له تاثير اذا كان مع من يؤمن بالله وبالبعث والقيمة واهوالها
ويخشى عقابها وقولهم انما يعجل من يخشى الفوت فمركوز في العقول ان من
لم يخش الفوت لم يعجل واذا كان له اختصاص لم يصح فيه استعمال لا
العاطفة فلا تقل انما يعجل من يخشى الفوت لا من يامنه وطريق النفي والاستثناء
يسلك مع مخاطب يعتقد فيه انه مخطئ وتراه يصر كما اذا رفع لكما شبح
من بعيد لم تقل ما ذاك الا زيد لصاحبك الا وهو يتوهم غير زيد ويصر
على انكار ان يكون اياه وما قال الكفار للرسل ان انتم الا بشر مثلنا الا
والرسل عندهم في معرض المنفي عن البشرية والمنسلخ عنه حكمها بناء على
جهلهم ان الرسول يمتنع ان يكون بشرا او ما تسمع في موضع اخر كيف تجد
ما يحكى عنهم هناك يرشح بما يتلوث به صماخك من تقرير جهلهم هذا

78

هذا وهو ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان [انتم] الا تكذبون وما [اعجب]
شان المشركين ما رضوا للنبي ان يكون بشرا ورضوا للاله ان يكون حجرا واما
قول الرسل لهم ان نحن الا بشر مثلكم فمن باب المجاراة وارخاء العنان مع الخصم
ليعثر حيث يراد تبكيته كما قد يقول من يخالفك فيما ادعيت انك من شانك كيت [وكيت]
فانت تقول نعم اني من شاني كيت وكيت والحق في يدك هناك ولكن كيف يقدح
في دعواي هاتيك وعلى هذا ما من موضع ياتي فيه النفي والاستثناء الا والمخاطب
عند المتكلم مرتكب للخطاء مع اصرار اما تحقيقا اذا اخرج الكلام على مقتضى الظاهر و [اما تقديرا]
اذا اخرج الكلام على مقتضى الظاهر كقوله عز قائلا وما انت بمسمع من في القبور ان [انت]
الا نذير لما كان النبي صلعم شديد الحرص على هداية الخلق وما كان مسماه شيئا سوى ان
يرجعوا عن الكفر فيملكوا زمام السعادة عاجلا واجلا ومتى راهم لم يومنوا تداخله
من الوجد والكآبة ما كاد يبخع له حتى قيل له فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم [يومنوا]
ويتساقط حسرات على توليهم واعراضهم عن الحق وما كانت شفقته عليهم بدعوه
يلقي حبلهم غاربهم ليهيموا في ادوية الضلال ويتقسموا في مهالك الغواية بل كانت
تدعوه ان يرجع الى تزيين الايمان لهم عوده على بدئه عسى ان يسمعوا ويعوا راكبا

في ذلك كل صعب ولو لم يبرز لذلك في معرض من ظن انه يملك غرس الايمان

في قلوبهم مع اصرارهم على الكفر فقيل له عليه السلام لست هناك ان انت الا نذير

وقوله عز وجل قل لا املك لنفسي نفعًا ولا ضرًّا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم

الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يو منون

مصبوب في هذا القالب وطريق انما يسلك مع مخاطب في مقام لا يصر على

خطائه او يجب عليه ان لا يصر على خطائه لا تقول انما زيد يجي او انما يجي

زيد الا والسامع متلق كلامك بالقبول وكذا لا تقول انما الله اله واحد الا

ويجب على السامع ان يتلقاه بالقبول والاصل في انما ان يستعمل في حكم لا يعوزك

تحقيقه اما لانه في نفس الامر جلي او لانك تدعيه جليا فمن الاول قوله تعالى

انما انت منذر من يخشيها وقوله انما يستجيب الذين يسمعون وقولهم انما يعجل

من يخشى الفوت وقولك للرجل الذي ترققه على اخيه وتنبهه للذي يجب عليه

من صلة الرحم ومن حسن التحفي انما هو اخوك ولصاحب الشرك انما الله اله لا

واحد ومن الثاني قول الشاعر انما انا مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه

الظلماء ادعى ان كون مصعب كما ذكر جلي وانه عادة للشعراء يدعون الجلاء

٦٩

فى كل ما يمدحون به ممدوحهم الا ترى الى قوله وتعذلنى افناء سعد عليهم وما قلت

الا بالتى علمت سعد والى قوله لا ادعى لابى العلاء فضله حتى يسلمها اليه عداه

والى قوله فيا من لديه ان كل امرئ له نظير وان حاز الفضايل هل له وما حكى

عن اليهود فى قوله عز وعلا واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن

مصلحون ادعوا على مجرى عادتهم فى الكذب ان كونهم مصلحين امر ظاهر مكشوف

لا سترة به ولذلك اكد الامر جل وعلا فى تكذيبهم حيث قال الا انهم هم المفسدون

فجاء بالجملة اسمية ومعرفة الخبر باللام وموسطة الفصل ومؤكدة بان ومصدرة

بحرف التنبيه واذ قد ذكرنا القصر فيما بين المسند والمسند اليه بالطرق التى سمعت

فقد حان ان نذكره فيما بين غيرهما كالفاعل والمفعول وكالمفعولين وكذى الحال

والحال ونحن نذكره فى ذلك بطريق النفى والاستثناء وطريق انما دون ما سواهما

فلما هناك عدة اعتبارات نراعى فلا بد من تلاوتها عليك اعلم انك اذا

اذا اردت قصر الفاعل على المفعول قلت ما ضرب زيد الا عمروا على معنى لم يضرب

غير عمرو واذا اردت قصر المفعول على الفاعل قلت ما ضرب عمرا الا زيد

على معنى لم يضربه غير زيد والفرق بين المعنيين واضح وهو ان عمرا فى الاول

لا يمتنع ان يكون مضروب غير زيد ويمتنع فى الثانى وان زيدا فى الثانى
لا يمتنع ان يكون ضاربا غير عمرو ويمتنع فى الاول ولك ان تقول فى الاول
ما ضرب الا عمرا زيد وفى الثانى ما ضرب الا زيد عمرا فتقدم وتوخر الا ان
هذا التقديم والتاخير لما استلزم قصر الصفة قبل تمامها على الموصوف قل دوره
فى الاستعمال لان الصفة المقصورة على عمرو فى قولنا ما ضرب زيد الا عمرا هى
ضرب زيد لا الضرب مطلقا والصفة المقصورة على زيد فى قولنا ما ضرب عمرا
الا زيد هى الضرب لعمرو واذا اردت قصر احد المفعولين على الاخر فى نحو كسوت
زيدا جبة قلت فى قصر زيد على الجبة ما كسوت زيدا الا جبه او ما كسوت
الا جبة زيدا وفى قصر الجبة على زيد ما كسوت جبة الا زيدا او ما كسوت
الا زيدا جبة وفى نحو ظننت زيدا منطلقا تقول فى قصر زيد على الانطلاق ما ظننت
زيدا الا منطلقا او ما ظننت الا منطلقا زيدا وفى قصر الانطلاق على زيد ما ظننت
منطلقا الا زيدا او ما ظننت الا زيدا منطلقا واذا اردت قصر ذى الحال على الحال
قلت ما جاء زيد الا راكبا او ما جاء راكبا زيد وفى قصر الحال على ذى الحال ما جاء
راكبا الا زيد او ما جاء الا زيد راكبا والاصل فى جميع ذلك هو ان الا فى الكلام الناقص

80

الناقص يستلزم ثلثة اشياء احدها المستثنى منه لكون الا للاخراج واستدعاء

الاخراج مخرجا منه وثانيها العموم فى المستثنى منه لعدم المخصص وامتناع ترجيح احد

المتساويين ولذلك ترانا فى علم النحو نقول تانيث الضمير فى كانت فى قراءة ابى جعفر

المدنى ان كانت الا صيحةٌ بالرفع وفى ترى المبنى للمفعول فى قراءة الحسن فاصبحوا

لا ترى الا مساكنهم وفى بقيت فى بيت ذى الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع

للنظر الى ظاهر اللفظ والاصل التذكير لاقتضاء المقام معنى شئ من الاشياء وثالثها

مناسبة المستثنى منه للمستثنى فى جنسه ووصفه واعنى بصفته كونه فاعلا او مفعولا او ذا حال

او حالا او ما ترى كيف يقدر المستثنى منه فى ما جاءنى الا زيد مناسبا له فى الجنس والوصف

الذى ذكرت نحو ما جاءنى احد الا زيد وفى ما رايت الا زيدا نحو ما رايت احدا الا زيدا

وفى ما جاء زيد الا راكبا نحو ما جاء زيد كائنا على حال من الاحوال الا راكبا وهذه المستلزمات

توجب جميع تلك الاحكام بيان ذلك انك اذا قلت ما ضرب زيد الا عمرا لزم ان يقدر

قبل الا مستثنى منه ليصح الاخراج منه ولزم ان يقدر عاما لعدم المخصص ولزم ان يقدر

مناسبا للمستثنى الذى هو عمرو فى جنسه ووصفه وح يمتنع ان يكون صورة الكلام

الا هكذا ما ضرب زيد احدا الا عمرا واستلزام هذا الكلام قصر الفاعل على عمرو

المفعول ضروری وكذا اذا قلت ما ضرب الا عمراً زيد واذا قلت ما ضرب عمراً الا زيد

لزم تقدير مستثنی منه من جنسه المستثنی وبوصف العموم وبوصف المستثنی وح تكون

صورة الكلام هكذا ما ضرب عمراً احدٌ الا زيد ويلزم ضرورة قصر المفعول على زيد الفاعل

واذا قلت ما كسوت زيدا الا جبة كان التقدير ما كسوت زيدا ملبسا الا جبة فيكون

زيد مقصوراً على الجبة لا يتعداها الى ملبس اخر واذا قلت ما كسوت جبة الا زيداً

كان التقدير ما كسوت جبة احداً الا زيداً فيكون الجبة مقصورة على زيد لا يتعداه

الى من عداه واذا قلت ما جاء راكبا الا زيد كان التقدير ما جاء راكبا احد الا زيد واذا قلت

ما جاء زيد الا راكبا كان التقدير ما جاء زيد كاينا على حال من الاحوال الا راكبا واذا قلت

ما اخترت رفيقا الا منكم كان التقدير ما اخترت رفيقا من جماعة من الجماعات الا منكم

واذا قلت ما اخترت منكم الا رفيقا كان التقدير ما اخترت منكم احدا متصفا باى

وصف كان الا رفيقا وكذا اذا قلت ما اخترت الا رفيقا منكم بدل ان يقول ما اخترت

الا منكم رفيقاً لم يعر عن فرق وهذا يطلعك على الفرق بين ما قال الشاعر لو خير المنبر فرسانه

ما اختار الا منكم فارسا وبين ما اذا قلت ما اختار الا فارسا منكم واذا عرفت هذا

في النفي والاستثناء فاعرفه بعينه في انما لا تصنع شيئا غير ما اذكره لك وامض في الحكم غير

81

غير مدافع نزل القيد الاخير من الكلام الواقع بعد انما منزلة المستثنى

فقدر نحو انما يضرب زيد تقديره ما يضرب الا زيد ونحو انما يضرب زيد

عمرا تقديره ما يضرب زيد الا عمرا ونحو انما يضرب زيد عمرا يوم الجمعة

تقديره ما يضرب زيد عمرا الا يوم الجمعة ونحو انما يضرب زيد عمرا يوم الجمعة

في السوق تقدير ما يضرب زيد عمرا يوم الجمعة الا في السوق وكذلك اذا قلت

انما زيد يضرب فقدره تقدير ما زيد الا يضرب ولا يجوز معه اعما عن تنزع التقديم

والتاخير ما جوزته مع ما والا وانفسه في ذلك عليه فدان اصل في باب

القصر وهذا كالفرع عليه والتقديم والتاخير هناك غير ملبس وهاهنا

مؤد الى الالباس وكذلك قدر انما هذا لك تقدير ما هذا الا لك وانما لك

هذا تقدير ما لك الا هذا حتى اذا اردت الجمع بين انما وطريق العطف

فقال انما هذا لك لا لغيرك وانما لك هذا لا ذاك وانما ياخذ زيد لا عمرو

وانما ياخذ زيد لا يعطى ومن هذا تعثر على الفرق اي تطلعه بين انما يخشى الله من عباده

العلماء وبين انما يخشى الله العلماء من عباده الله بتقديم المرفوع على المنصوب

فالاول يقتضي انحصار خشية الله على العلماء والثاني يقتضي انحصار

خشية العلماء على الله واعلم ان حكم غير حكم الا فى افادة القصرين وامتناع مجامعته

لا العاطفة تقول ما جاءنى غير زيد اما افرادا لمن يقول جاء زيد مع جاء اخر واما

قلبا لمن تقول ما جاء زيد وانما جاء مكانه انسان اخر ولا تقول ما جاءنى غير زيد

لا عمرو واعلم انى لا سهدت لك فى هذا العلم قواعد متى بنيت عليها اعجب كل شاهد

بناءها واعترف لك بكمال الحذق فى صناعة البلاغة ابناؤها ونهجت لك مناهج متى

سلكتها اخذت بك عن المجهل المتعسف الى سواء السبيل وصرفتك عن الاجن المطروق

الى النمير الذى هو شفاء الغليل ونصبت لك اعلاما متى اتجهتها اعثرتك على ضوال

منشودة وحشدت لك منها ما ليست عند احد محشودة ومثلت لك امثلة متى حذوت

عليها امنت العثار فى مظان الزلل وابن ان تتصرف فيما تثنى اليه عنانك يد الخطل

ثم اذا كنت ممن ملك الذوق الى الطبع وتصفحت كلام رب العزة اطلعتك على ما يورد

هناك موارد الهيبة وكشفت لنور بصيرتك عن وجه اعجازه القناع وفضلت لك

ما اجمله اثارا ولتلك المصاقع على معارضته القراع فان ملاك الامر فى علم المعانى هو

الذوق السليم والطبع المستقيم فمن لم يرزقهما فعليه بعلوم اخر والا لم يحظ بطائل مما يقدم

وما بنا خراذا لم يكن للمرء عين صحيح فلا غرو ان يرتاب والصبح مسفر هذا وان الحبر

الخبر كثيرا ما يخرج لا على مقتضى الظاهر و يكون المراد به الطلب فسيذكر ذلك فى اخر القانون
الثانى باذن الله تعالى وتوفيقه القانون الثانى من علم المعانى وهو قانون الطلب قد
سبق
ان حقيقة الطلب معلومة مستغنية عن التحديد فلا نتكلم هناك و انما نتكلم فى مقدمة
يستدعيها المقام من بيان ما لا بد للطلب منه و من تنوعه و التنبيه على ابوابه فى الكلام
وكيفية توليدها لما سوى اصلها وهى ان لا ارتياب فى ان الطلب من غير تصور اجمالاً
او تفصيلاً لا يصح و انه يستدعى مطلوبا لا محالة و يستدعى فيما هو مطلوبه ان لا يكون
حاصلا وقت الطلب و ليكن هذا المعنى عندك فنستفرع عليه والطلب اذا تاملت
نوعان نوع لا يستدعى فى مطلوبه امكان الحصول و قولنا لا يستدعى ان يمكن اعم من
قولنا
يستدعى ان لا يمكن و نوع يستدعى فيه امكان الحصول والمطلوب بالنظر الى ان لا واسطة
بين الثبوت و الانتفاء يستلزم انحصاره فى قسمين حصول ثبوت متصور وحصول
انتفاء متصور و بالنظر الى كون الحصول ذهنياً وخارجياً يستلزم انقساماً الى اربعة
اقسام حصولين فى الذهن وحصولين فى الخارج ثم اذا لم يزد الحصول فى الذهن
على التصور و التصديق لم يتجاوز اقسام المطلوب ستة حصول تصور او تصديق
فى الذهن وحصول انتفاء تصور او تصديق فيه وحصول ثبوت تصور او انتفائه

فى الخارج وطلب حصول تصور فى الذهن لا يرجع الا الى تفصل مجمل او تفصيل مفصّل

بالنسبة ووجه ذلك ان الانسان اذا صح منه الطلب بان ادرك اما بالاجمال كشئ ما

او بالتفصيل بالنسبة الى شئ ما ثم طلب حصولاً لذلك فى الذهن وامتنع طلب الحاصل

توجه الى غير حاصل وهو تفصل المجمل وتفصل المفصل بالنسبه اما النوع الاول من الطلب

فهو التمنى او ما ترى كيف تقول ليت زيدا جائنى فتطلب كون غير الواقع المجئ فيما مضى واقعاً

فيه مع حكم العقل بامتناعه او كيف تقول ليت الشباب يعود فتطلب عود الشباب مع جزمك

بانه لا يعود او كيف تقول ليت زيدا يأتينى او ليتك تحدثنى فتطلب اتيان زيد او حديث

صاحبك فى حال لا تتوقعهما ولا لك طماعية فى وقوعهما اذ لو توقعت او طمعت لاستعملت لعلّ

او عسى واما الاستفهام والامر والنهى والنداء فمن الثانى والاستفهام لطلب حصول فى الذهن

والمطلوب حصوله فى الذهن اما ان يكون حكما بشئ على شئ او لا يكون والاول هو التصديق

ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين والثانى هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق ثم

المحكوم به اما ان يكون نفس الثبوت او الانتفاء كما تقول الانطلاق ثابت او متحقق او موجود

كيف شئت او ما الانطلاق ثابتا فتحكم على الانطلاق ترتب بالثبوت او الانتفاء بالاطلاق

او ثبوت كذا او انتفاء كذا بالتقييد كما تقول الانطلاق قريب او ليس بقريب فتحكم على الانطلاق

تحرر

بثبوت القرب له او بانتفائه عنه لا مزيد للتصديق على هذين النوعين والنوع الاول لا يحتمل
الطلب الا في التصديق والمسند اليه لكون المسند فيه وهو نفس الثبوت والانتفاء مستغنيًا
عن الطلب والثاني يحتمله في التصديق وطرفيه واما الامر والنهي والنداء فلطلب الحصول
في الخارج اما حصول انتفاء متصور كقولك في النهي للمتحرك لا يتحرك فانك تطلب بهذا الكلام
انتفاء الحركة في الخارج واما حصول ثبوته كقولك في الامر قم وفي النداء يا زيد فانك تطلب
بهذين الكلامين حصول قيام صاحبك واقباله عليك في الخارج والفرق بين الطلب في
الاستفهام والطلب في الامر والنهي والنداء واضح فانك في الاستفهام تطلب ما هو في الخارج
ليحصل في ذهنك نقش له مطابق وفيما سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب ان يحصل له
في الخارج مطابق فنقش الذهن في الاول تابع وفي الثاني متبوع وبوقفه هذه المعاني حقها
يستدعي مجالًا غير مجالنا هذا فلنكتف بالاشارة اليها ومجرد التنبيه عليها واذ قد عثرت
على ما دفعك فبالحري ان نبين كيف يتفرع عن هذه الابواب الخمسة التمني والاستفهام
والنهي والامر والنداء ما يتفرع على سبيل الجملة اذ لا بد منه ثم فصول الآتية في علم البيان
لتلاوتها عليك ما تترقب من التفصيل هنالك ضمنًا فنقول متى امتنع اجراء هذه الابواب
على الاصل تولد منها ما ناسب المقام كما اذا قلت لمن همك همه ليتك تحدثني امتنع اجراء

التمني

والحال ما ذكر على ما اصله فتطلب الحديث من صاحبك غير مطموع في حصوله وولد بمعونة

قرينة الحال معنى السوال او كما اذا قلت هل لي من شفيع في مقام لا يسع امكان التصديق

بوجود الشفيع امتنع اجراء الاستفهام على اصله وولد بمعونة قرائن الاحوال معنى التمني

وكذا اذا قلت لو يأتيني زيد فيحدثني بالنصب طالباً لحصول الوقوع فيما تفيد لو من تقدير

غير الواقع واقعاً ولد التمني وسبب تولد لعل معنى التمني في قولهم لعلي ساحج فازورك

بالنصب هو بعد المرجو عن الحصول او كما اذا قلت لمن تراه لا ينزل الا تنزل فتصيب خيراً

امتنع ان يكون المطلوب بالاستفهام التصديق بحال نزول صاحبك لكونه حاصلاً وتوجه

بمعونة قرينة الحال الى نحو الا تحب النزول مع محبتنا اياه وولد معنى العرض او كما اذا قلت

لمن تراه يوذي الاب اتفعل هذا امتنع توجه الاستفهام الى فعل الايذاء لعلمك بحاله وتوجه

الى ما لا تعلم مما لا يلابسه من نحو اتستحسن وولد الانكار والزجر او كما اذا قلت لمن يهجو اباه

مع حكمك بان هجو الاب ليس شيئاً غير هجو النفس هل تهجو الا نفسك او غير نفسك امتنع

اجراء الاستفهام على ظاهره لاستدعائه ان يكون الهجو احتمل عندك توجهها الى غيره وتولد منه

بمعونة القرينة الانكار والتوبيخ او كما اذا قلت لمن يسيء الادب الم اودب فلاناً امتنع

ان يطلب العلم بتاديبك فلاناً وهو حاصل وتولد منه الوعيد والزجر او كما اذا قلت

لمن بعث الى مهم وانت تراه عندك اما ذهبت بعد امتنع الذهاب عن توجه الاستفهام اليه
لكونه معلوم الحال واستدعى شيئا مجهول الحال مما يلابس الذهاب مثل اما تيسر لك الذهاب
وتولد منه الاستبطاء والتحضيض او كما اذا قلت لمن يتصلف عندك وانت تعرفه الا اعرفك
امتنعت معرفتك به عن الاستفهام وتوجه الى مثل انطقني لا اعرفك وتولد الانكار والتعجب
والتعجيب او كما اذا قلت لمن جاءك اجئتني امتنع المجيء عن الاستفهام وولد بمعونة القرينة
التقدير او كما اذا قلت لمن يدعي امرا ليس في وسعه افعله امتنع ان يكون المطلوب بالامر
حصول ذلك الامر في الخارج لحكمك عليه باستناعه وتوجه الى مطلوب ممكن الحصول
مثل بيان عجزه وتولد التعجيز والتحدي او كما اذا قلت لعبد شتم مولاه وانك ادبته حق
التاديب او اوهه عذرته على ذلك ابلغ ايعادا اشتم مولاك امتنع ان يكون المراد الامر بالشتم
والحال ما ذكر وتوجه بمعونة قرينة الحال الى نحو اعرف لازم الشتم وتولد منه التهديد
او كما اذا قلت لعبده لا يمتثل امرك لا يمتثل امري امتنع طلب ترك الامتثال لكونه حاصلا وتوجه
الى غير حاصل مثل لا تكترث لامري ولا تبال به وتولد منه التهديد او كما اذا قلت لمن
اقبل عليك بتظلم يا مظلوم امتنع توجه النداء الى طلب الاقبال لحصوله وتوجه الى غير
حاصل مثل زيادة الشكوى بمعونة قرينة الحال وتولد منه الاغراء ولنقتصر على هذا

فمن لم يستطع

بمصباح لم يستضئ باصباح ناقلين الكلام الى التصفح لابواب الطلب الباب الاول في التمني

اعلم ان الكلمة الموضوعة للتمني هي ليت وحدها واما لو وهل في افادتهما معنى التمني الكلام فالوجه

ماسبق وكان الحروف المسماة بحروف التنديم والتحضيض وهي هلا والا ولولا ولوما ماخوذة

منهما مركبة مع لا وما المزيدتين مطلوبًا بالتزام التركيب التنبيه على الزام هل ولو معنى التمني فاذا قيل

هلا اكرمت زيدًا او الا بقلب الهاء همزة او لولا او لوما فكان المعنى ليتك اكرمت زيدًا متولدًا

منه معنى التنديم واذا قيل هلا تكرم زيدًا او لولا فكان المعنى ليتك تكرمه متولدًا منه معنى السؤال

والتحضيض الباب الثاني في الاستفهام للاستفهام كلمات موضوعة وهي الهمزة وام وهل وما

ومن واي وكم وكيف واين وانى ومتى وايان بفتح الهمزة وبكسرها وهذه اللغة اعني كسر همزتها

تقوي اباء ان يكون اصلها اي اوان وهذه الكلمات ثلثة انواع احدها يختص طلب حصول

التصور وثانيها يختص حصول التصديق وثالثها لا يختص وقد نبهت فيما سبق ان طلب التصور

مرجعه الى تفصيل المجمل او الى تفصيل المفصل بالنسبة واذا تاملت طلب التصديق وجد ترجعًا

الى تفصيل المجمل ايضًا وهو طلب التصديق بها تعين الثبوت او الانتفاء في مقام التردد والهمزة

من النوع الاخير تقول في طلب التصديق بها احصل الانطلاق وازيد منطلق وفي طلب

التصور بها في طرق المسند اليه ادبس في الاناء ام عسل وفي طرف المسند افي الخابية دبسك

أم فى الذوق فانت فى الاول تطلب تفصيل المسند اليه وهو المظروف وفى الثانى تطلب تفصيل
المسند وهو الظرف وهل من النوع الثانى لا تطلب به الا التصديق كقولك هل حصل الانطلاق
وهل زيد منطلق ولاختصاصه بالتصديق امتنع ان يقال هل عندك عمرو ام بشر باتصال
ام دون ام عندك بشر بانقطاعها وقبح هل رجل عرف وهل زيدًا عرفت دون هل زيدًا
عرفته ولم يقبح ارجل عرف وازيدًا عرفت لما سبق ان التقديم يستدعى حصول التصديق
بنفس الفعل فبينه وبين هل تدافع واذا استحضرت ما سبق من التفاصيل فى صورة التقديم
عسالك ان تهتدى لما طويت ذكره انا ولابد لهل من ان تخصيص الفعل المضارع بالاستقبال
فلا يصح ان يقال هل تضرب زيدا وهو اخوك على نحو اتضرب زيدًا وهو اخوك فى ان يكون
الضرب واقعًا فى الحال ولكون هل لطلب الحكم بالثبوت او الانتفاء وقد نبهت فيما قبل على
ان الاثبات والنفى لا يتوجهان الى الذوات وانما يتوجهان الى الصفات ولاستدعائه
التخصيص بالاستقبال لما يحتمل ذلك وانت تعلم ان احتمال الاستقبال انما يكون لصفات
الذوات لا لانفس الذوات لان الذوات من حيث هى هى ذوات فيما مضى وفى الحال وفى الاستقبال
استلزم ذلك مزيد اختصاص لهل دون الهمزة بما يكون كونه زمانيا اظهر كالافعال
ولذلك كان قوله عز وعلا فهل انتم شاكرون ادخل فى الانباء عن طلب الشكر من قولنا

فی انتم فهل تشکرون او فهل انتم تشکرون او افانتم شاکرون لما ان هل تشکرون مفید

للتجدد وهل انتم تشکرون کذلک وافانتم شاکرون وان کان ینبیء عن عدم التجدد لکنه

دون فهل انتم شاکرون لما ثبت ان هل ادعی للفعل من الهمزة فترک الفعل معه یکون ادخل

فی الانباء عن استدعاء المقام عدم التجدد ولکون هل ادعی للفعل من الهمزة لا یحسن هل زید

منطلق الا من البلیغ کما لا یحسن نظیر قوله لیبک یزید ضارع لخصومة من کل احد علی ما سبق فی

موضعه والخطب مع الهمزة فی نحو ازید منطلق اهون واما ما ومن وای وکم وکیف واین وانی

ومتی وایان فمن النوع الاول من طلب حصول التصور علی تفصیل بینهن لا بد من ایقافک علیه

لیصح منک تطبیقها فی الکلام علی ما یستوجب فنقول اما ما فللسؤال عن الجنس تقول ما عندک

بمعنی ای اجناس الاشیاء عندک وجوابه انسان او فرس او کتاب او طعام وکذلک تقول

ما الکلمة وما الاسم وما الفعل وما الحرف وما الکلام وفی التنزیل فما خطبکم بمعنی ای اجناس

المخطوب خطبکم وفیه ما تعبدون من بعدی ای ای من فی الوجود تؤثرونه فی العبادة او عن الوصف

تقول ما زید وما عمرو وجوابه الکریم او الفاضل او ما شاکل ذلک ولکون ما للسؤال عن الجنس

وللسؤال عن الوصف وقع بین فرعون وبین موسی ما وقع لان فرعون حین کان جاهلاً

بالله معتقدا ان لا موجود مستقلا بنفسه سوی اجناس الاجسام اعتقاد کل جاهل لا نظر له

86

له ثم سمع موسى قال انا رسول رب العالمين سأل بما عن الجنس اجناس سؤال مثله فقال وما رب

العالمين كانه قال اى اجناس الاجسام هو وحين كان موسى عالما بالله اجاب عن الوصف

تنبيها على النظر المؤدى الى العلم بحقيقة الممتازة عن حقائق الممكنات فلما لم يتطابق السؤال

والجواب عند فرعون الجاهل عجب من حوله من جماعة الجهلة فقال لهم الا تستمعون ثم استهزء

بموسى وجننه فقال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون وحين لم يدبرهم موسى يفطنون

لما نبههم عليه فى الكرتين من فساد مسئلتهم الحمقاء واستماع جوابه الحكيم غلظ فى الثالثة فقال

رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ويحتمل ان يكون فرعون قد سال بما عن الوصف

لكون رب العالمين عنده مشتركا بين نفسه وبين من دعاه اليه موسى فى قوله انا رسول رب العالمين

لجهله وفرط عتوه وتسويل نفسه الشيطانية لذلك الضلال الشنيع من ادعاء الربوبية

وارتكاب ان يقول انا ربكم الاعلى ونفخ الشيطان فى خيشومه بتسليم اولئك البهايم له اياها

واذعانهم له بذلك وتلقيبهم اياه برب العالمين وشهرته فيما بينهم بذلك الى درجة دعوة السحرة

اذ عرفوا الحق وخروا سجدا لله وقالوا امنا برب العالمين الى ان يعقبوه بقولهم رب موسى

وهارون نفيا لاتهامهم ان يعنوا فرعون وان يكون ذلك السؤال من فرعون على طاعية ان يجرى

موسى فى جوابه على نهج حاضريه لو كانوا المسؤلين فى وجه بدله فيجعل المخلص لجهله لحال موسى

وعدم الاطلاع على علو شانه اذ كان ذلك المقام اول اجتماعه بموسى عليه بدليل ما جرى فيه

من قوله اولو جئتكم بشئ مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فحين سمع المخلص لم يمكنه

تعجب وعجب واستهزاء وجبن وتفهيق بما تفهق من لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين

واما من فللسؤال عن الجنس من ذوى العلم تقول من جبريل بمعنى ابشر هو ام ملك ام جنى وكذا من ابليس

ومن فلان ومنه قوله تو حكاية عن فرعون فمن ربكما يا موسى اراد من مالككما ومدبر امركما

املك هو ام جنى ام بشر منكرا لان يكون لهما رب سواه لادعائه الربوبية لنفسه ذاهبا فى

سؤاله هذا الى معنى الكما رب سواى فاجاب موسى بقوله ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى

كانه قال نعم لنا رب سواك وهو الصانع الذى اذا سلكت الطريق الذى بين بايجاده لما اوجد وتقديره

اياه على ما قدره واتبعت فيه الخريت الماهر وهو العقل الهادى عن الضلال لزمك الاعتراف

بكونه ربا وان لا رب سواه وان العبادة له منى ومنك ومن الخلق اجمع حق لا مدفع له

واما اى فللسؤال عما يميز احد المتشاركين فى امر يعمهما يقول القائل عندى ثياب فتقول

اى الثياب هى فتطلب منه وصفا يميزها عندك عما يشاركها فى الثوبية قال تو حكاية

عن سليمان ايكم ياتينى بعرشها اى الانسى ام الجنى وقال حكاية عن الكفار اى الفريقين خير

مقاما اى انحن ام اصحاب محمد صلعم واما كم فللسؤال عن العدد اذا قلت كم درهما لك

وكم رجلاً رايت فكانك قلت اعشرون ام ثلثون ام كذا ام كذا او تقول كم درهماً لك
وكم مالك اى كم دانقاً وكم ديناراً وكم ثوبك اى كم شبراً وكم ذراعاً وكم
زيد ماكث اى كم يوماً او كم شهراً وكم رايتك اى كم مرة وكم سرت اى كم فرسخاً
او كم يوما قال جل وعلا عز قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً او بعض يوم اى كم
يوماً او كم ساعة وقال تو كم لبثتم فى الارض عدد سنين وقال سل بنى اسرائيل كم اتيناهم
من اية بينة ومنه قول الفرزدق كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت على
عشارى فيمن روى بنصب المميز واما كيف فللسوال عن الحال اذا قيل كيف زيد
فجوابه صحيح او سقيم او مشغول او فارغ او شبع او جذلان ينتظم الاحوال كلها واما
اين فللسوال عن المكان اذا قيل اين زيد فجوابه فى الدار او فى المسجد او فى السوق ينتظم
الاماكن كلها واما انى فيستعمل تارة بمعنى كيف قال تعالى فاتوا حرثكم انى شئتم
اى كيف شئتم واخرى بمعنى من اين قال الله تعالى انى لك هذا اى من اين لك واما
متى وايان فهما للسوال عن الزمان اذا قيل متى جئت او ايان جئت قيل يوم الجمعة
او يوم الخميس او شهر كذا او سنة كذا وعن على بن عيسى الربعى امام ائمة بغداد فى علم
النحو ان ايان تستعمل فى مواضع التفخيم كقوله عز قائلا يسئل ايان يوم الدين القيمة

يسئلون ايان يوم الدين واعلم ان هذه الكلمات كثيراً ما يتولد منها امثال ما سبق
من المعاني بمعونة قراين الاحوال فيقال ما هذا ومن هذا لمجرد الاستخفاف والتحقير
ومالي للتعجب قال لو حكاية عن سليمان مالي لا ارى الهدهد واي رجل هو للتعجب وايما
رجلٍ وكم دعوتك للاستبطاء وكم تدعوني للانكار وكم احلم للتهديد وكيف تؤذي
اياك للانكار والتعجب والتوبيخ وعليه قوله تعالى كيف تكفرون بالله ورسوله وكنتم
امواتاً فاحياكم بمعنى التعجب ووجه تحقيق ذلك هو ان الكفار في حين صدور الكفر منهم
لا بد من ان يكونوا على احدى الحالين اما عالمين بالله واما جاهلين به فلا ثالثة فاذا
قيل لهم كيف تكفرون بالله وقد علمت ان كيف للسؤال عن الحال وللكفر مزيد اختصاص
بالعلم بالصانع وبالجهل به انساق الى ذلك فافاد في حال العلم بالله تكفرون ام في حال
الجهل به ثم اذا قيل كيف تكفرون بالله بقوله وكنتم امواتاً فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وصار
المعنى كيف تكفرون والحال حال علم بهذه القصة وهي ان كنتم امواتاً فصرتم احياء وسيكون
كذا وكذا صير الكفر ابعد شيء عن العاقل فصار وجوده مظنة التعجب ووجه بعده هو
ان هذه الحالة تأبى ان لا يكون للعاقل علم بان له صانعاً قادراً عالماً حياً سميعاً بصيراً
موجوداً غنياً في جميع ذلك عن سواه قديماً غير جسم ولا عرض حكيماً خالقاً منعماً مكلفاً مرسلاً

للرسل باغاثتيا معاقبًا وعلم بان له هذا الصانع يابى ان يكون وصدور الفعل عن القادر
مع الصارف القوى مظنة تعجب وتعجيب وانكار وتوبيخ فصح ان يكون قوله كيف
تكفرون الى اخر الاية تعجبًا وتعجيبًا وانكارًا وتوبيخًا وكذلك يقال اين مغيثك للتوبيخ
والتقريع والانكار حال تذليل المخاطب قال تعالى اين شركائى الذين كنتم تزعمون توبيخًا
للمخاطب وتقريعًا لهم لكونه سوالا فى وقت الحاجة الى الاغاثة عمن كان يدعى له انه
يغيث وقال فاين تذهبون للتنبيه على الضلال ويقال انى تعتمد على خائن للتعجب والتعجيب
والانكار قال تعالى فانى تؤفكون انكارًا وتوبيخًا وقال انى لهم الذكرى وقد جاءهم
رسول مبين استبعادًا لذكراهم ويقال متى قلت هذا للجحد والانكار ومتى تصلح
شانى للاستبطاء وقد عرفت الطريق فراجع نفسك اذا سلكتها فاسلكها عن كمال
التيقظ لما لقنت فلا يجوز بعد ما عرفت ان التقديم يستدعى العلم بحال نفس الفعل
وقوعًا او غير وقوع ازيدًا ضربت سائلا عن حال وقوع الضرب ولا انت ضربت
زيدًا بنية التقديم ولا تنص ازيدًا ضربت ام لا ولا انت ضربت زيدًا ام لا بنية
التقديم ولكن ان شئت ام فقل ازيدًا ضربت ام عمرو وانت ضربت زيدًا ام عمرو
وان اردت بالاستفهام التقرير فاخذ على مثال الاثبات فقل حال تقرير الفعل اضربت زيدًا

او تضرب زيدًا وفى حال تقرير انه الضارب دون عمرو أانت ضربت زيدًا كما قال تع

أانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم او ان زيدًا مضروبه ازيدا ضربت وان اردت به الانكار

فانسجه على منوال النفى فقل فى انكار نفس الضرب اضربت زيدًا او قل ازيدًا ضربت ام عمرًا فانك

اذا انكرت من يرد الضرب بينهما تولد منه انكار الضرب على وجه برهانى ومنه قوله تعالى

آلذكرين حرم ام الانثيين وفى انكار انه الضارب اانت ضربت زيدو فى انكار ان زيدًا

مضروبه ازيدًا ضربت كما قال تع قل اغير الله اتخذ وليًّا وقال تع اغير الله تدعون ومنه ايضًا

قوله ابشرًا منا واحدًا نتبعه فتذكر ولا تغفل عن التفاوت بين الانكار للتوبيخ على معنى لم كان

او لم يكون كقولك اعصيت ربك او اتعصى ربك وبين الانكار للتكذيب على معنى لم يكن

او لا يكون كقوله تع افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا وقوله اصطفى البنات على

البنين وقوله انلزمكموها واياك ان يزل عن خاطرك التفصيل الذى سبق فى نحو انا ضربت

وانت ضربت وهو ضرب من احتمال الابتداء واحتمال التقديم وتفاوت المعنى فى الوجهين

فلا تحمل نحو قوله آلله اذن لكم على التقديم فليس المراد ان الاذن ينكر من الله دون غيره

ولكن احمله على الابتداء مرادًا منه تقوية حكم المراد الانكار وانظم فى هذا السلك قوله تع افانت

تكره الناس وقوله افانت تسمع الصم او تهدى العمى وقوله اهم يقسمون رحمة ربك وما جرى

89

مراه واذ قد عرفت ان هذه الكلمات للاستفهام وعرفت ان الاستفهام طلب وليس يخفى ان
الطلب انما يكون لما يهمك ويعنيك شانه لا لما وجوده وعدمه عندك بمنزلة وقد سبق
ان كون الشئ مهما جهة مستدعية لتقديمه فى الكلام فلا يعجبنك لزوم كلمات الاستفهام صدر الكلام
ووجوب التقديم فى نحو كيف زيد واين عمرو ومتى الجواب وما شاكل ذلك
الباب الثالث فى الامر للامر حرف واحد وهو اللام الجازم فى قولك
ليفعل وصيغ مخصوصة سبق الكلام فى ضبطها فى علم الصرف وعدة اسماء
ذكرت فى علم النحو والامر فى لغة العرب عبارة عن استعمالها اعنى استعمال نحو
لينزل وانزل ونزال وصه على سبيل الاستعلاء واما ان هذه الصور والتى
هى من قبلها هل هى موضوعة لتستعمل على سبيل الاستعلاء ام لا فالاظهر انها
موضوعة لذلك وهى حقيقة فيه لتبادر الفهم عند استماع نحو قم وليقم
زيد الى جانب الامر وتوقف ما سواه من الدعاء والالتماس والندب
والاباحه والتهديد على اعتبار القراين وانطباق ائمة اللغة على اضافتهم
نحو قم وليقم الى الامر بقولهم صيغة الامر ومثال الامر ولام الامر دون
ان يقولوا صيغه الامر بلفظ الاباحة ولام الاباحه مثلا بعد ذلك وتحقيق معنى

الحقيقه والمجاز موضعه علم البيان فيذكر هناك ان شاء الله تعالى ولا شبهة

ان طلب المتصور على سبيل الاستعلاء يورث ايجاب الاتيان به على المطلوب منه

ثم اذا كان الاستعلاء ممن هو اعلى رتبه من المامور استتبع ايجابه وجوب الفعل

بحسب جهات مختلفة والا لم يستتبعه فاذا صادفت هذه اصل الاستعمال بالشرط

المذكور افادت الوجوب والا لم تفد غير الطلب ثم انها ح تولد بحسب قران الاحوال

ما ناسب المقام ان استعملت على سبيل التضرع كقولنا اللهم اغفر وارحم ولدت الدعاء

وان استعملت على سبيل التلطف كقول كل احد لمن يساويه في المرتبة افعل بدون

الاستعلاء ولدت السوال والالتماس كيف عبرت عنه وان استعملت في مقام

الاذن كقولك جالس الحسن او ابن سيرين لمن يستاذن في ذلك بلسانه او لسان

حاله ولدت الاباحة وان استعملت في مقام تسخط المامور به ولدت التهديد

على ما تقدم الكلام في امثال ذلك الباب الرابع في النهي للنهي حرف واحد وهو

لا الجازم في قولك لا تفعل والنهي محذو به حذو الامر في ان اصل استعمال لا تفعل

ان يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور فان صادف ذلك افاد الوجوب والا

افاد طلب الترك فحسب ثم ان استعمل على سبيل التضرع كقول المتبهل الى الله لا تكلني

الى المتضرع

الى الله نفسى سمى دعاء وان استعمل فى حق المساوى الرتبة لا على سبيل الاستعلاء

سمى التماسًا وان استعمل فى حق المستاذن سمى اباحة وان استعمل فى حق مقام تسخط الترك

سمى تهديدًا والامر والنهى حقهما الفور والتراخى توقف على قراين الاحوال لكونهما للطلب

وكون الطلب فى استدعاء تعجيل المطلوب اظهر منه فى عدم الاستدعاء له عند الانصاف والنظر

الى حال المطلوب باخويهما وهما الاستفهام والنداء مبينه على ذلك صالح ومما بينه على ذلك

تبادر الفهم اذا امر المولى عبده بالقيام ثم امره قبل ان يقوم بان يضطجع وينام حتى المساء

الى ان المولى غير الامر دون تقدير الجمع بينهما فى الامر وارادة التراخى للقيام وكذا استحسان

العقلاء عند امر المولى عبده بالقيام او القعود او نهيه اياه اذا لم يتبادر الى ذلك ذمه

واما الكلام فى ان الامر اصل فى المرة ام فى الاستمرار وان النهى اصل فى الاستمرار ام فى المرة

كما هو مذهب البعض فالوجه هو ان ينظر ان كان الطلب بهما راجعًا الى قطع كقولك فى

للساكن تحرك وفى النهى للمتحرك لا يتحرك فالاشبه المرة وان كان الطلب بهما راجعًا الى

اتصال الواقع كقولك فى المتحرك تحرك ولا تطمس هذا طلبا للحاصل فان الطلب حال

وقوعه يتوجه الى الاستقبال كما نبهت عليه فى صدر القانون ولا وجود فى الاستقبال

قبل صبروبه حالا وقولك فى النهى للمتحرك لا تسكن فالاشبه الاستمرار واعلم ان هذه الابواب

الامر

الامر

الاربعة التمني والاستفهام والامر والنهي تشترك في الاعانة على تقدير الشرط بعدها كقولك

في التمني ليت لي مالا انفقه على معنى ان ارزقه انفقه وقولك في الاستفهام اين بيتك

ازرك على معنى ان تعرفنيه او ان اعرفه ازرك واما العرض كقولك الا تنزل تصب خيرا

على معنى ان تنزل تصب فليس بابا على حدته وانما هو من مولدات الاستفهام كما عرفت

وقولك في الامر اكرمني اكرمك قال فهب لي من لدنك وليا يرثني بالجزم واما قراءة

الرفع فالاولى حملها على الاستيناف دون الوصف لئلا يلزم منه انه لم يوهب من وصف

لهلاك يحيى قبل زكريا عليهم وقال تعالى قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم

ومنهم من يضمر لام الامر مع يقيموا الا ان اضمار الجازم نظير اضمار الجار فانظر وقولك في النهي

لا تشتم يكن خيرا لك على معنى ان لا تشتم يكن خيرا لك وتقدير الشرط لقراين الاحوال غير ممتنع قال تع

فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم على تقدير ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم وقال فالله هو الولي

على تقدير ان ارادوا وليا بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه وامثال ذلك في القران كثيرة

وكذا تقدير الجزاء لها كذلك قال الله تعالى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني

اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم وترك الجزاء وهو الستم ظالمين لذكر الظلم عقيبه في قوله ان الله

لا يهدي القوم الظالمين الباب الخامس في النداء ما يتعلق بالنداء من حروفه وتفصيل

الكلام

91

الكلام فى معانيها فقد سبق التعرض لذلك فى علم النحو فلا نتكلم فيه ولكن ههنا نوع من الكلام صورته

صورة النداء وليس بنداء فننبه عليه وتلك الصورة هى قولهم اما انا فافعل كذا ايها الرجل ونحن

نفعل كذا ايتها القوم واللهم اغفر لنا ايتها العصابة يراد بهذا النوع من الكلام الاختصاص على معنى

انا افعل كذا متخصصاً بذلك من بين الرجال ونحن نفعل كذا متخصصين من بين الاقوام واللهم اغفر لنا

مخصوصين من بين العصابات واعلم ان الطلب كثيراً ما يخرج لا على مقتضى الظاهر وكذلك

الخبر فيذكر احدهما فى موضع الاخر ولا يصار الى ذلك الا لتوخى نكت قلما يتفطن لها من لا يرجع الى

دُرْبة فى نوعنا هذا فلا يعض بضرس قاطع والكلام بذلك متى صادف من متممات البلاغة

افترك عن السحر الحلال بما شئت ومن متممات ما قد سبق لى ان نظم الكلام اذا استحسن

من بليغ لا يمتنع ان لا يستحسن مثله من غير البليغ وان اتحد المقام اذ لا شبهة فى صحة اختلاف

النظم مقبولا وغير مقبول عند اختلاف المقام فلا بد لحسن الكلام من انطباق له على ما لاجله

يساق ومن صاحب لدراك بجهات الحسن لا يتخطاها والا لم يمتنع حمل الكلام منه على غيرها ويتوى

عن الحسن لذهاب كسوته ولا بد مع ذلك من اذن لافتنانات البلاغة مصوغة فالآفة العظمى

والبلية الكبرى لتلك الافتنانات الاسن اصمخة هى لغيرها مخلوقة اذا اتصل بذوبها كلام لا ترى

به الدر الثمين مسخه لهم جهلهم مسخاً بفوق قيمة المُخْشَلَب ولامر ما نجد القرآن متفاوت القدر

ارتفاعًا وانحطاطًا بين العلماء في نوعنا هذا وبين الجهلة والجهات المحسنة لاستعمال الخبر في موضع

الطلب تكثر تارة تكون قصد التفاؤل بالوقوع كما اذا قيل لك في مقام الدعاء اعاذك الله من الشبهة

وعصمك من الحيرة ووفقك للتقوى ليتفاءل بلفظ المضي على عدها من الامور الحاصلة التي حقها

الاخبار عنها بافعال ماضية وانه نوع مستحسن الاعتبار وقل لي اذا احسن اعتبار ما هو ابعد كاباء

الكتاب في حق المحذر اسلفط حراستها وما هو ابعد وابعد كاباء اهل الظرف اهداء السفرجل الى

الاحبة لاشتمال اسمه اذا سمي بالعربية على حروف سفر جل فما ظنك بالقريب وهل خلع هارون

على كاتبه اذ ساله عن شيء فقال لا وايدك الله امير المؤمنين الا لانه لم يسمع ما عليه الاغبياء فيما بينهم

من لا ايدك الله بترك الواو وغير هارون حين خرج الى ناحية لمطالعة عماراتها وقد تراءت

له في طريقه شجرة من بعيد فسال عنها كاتبًا يصحبه فقال الكاتب شجرة الوفاق تفاديًا عن لفظ

الخلاف فكساه افترى ذلك لغير ما نحن فيه او هل حين غضب الداعي على شاعره ابي مقاتل الضرير

حين افتتح موعد احبابك بالفرقة غدُ اغضبه شيء غير معنى التفاؤل حتى قال له موعد احبابك

يا اعمى ولك المثل السوء وامر باخراجه وهل تسمية العرب الفلاة مفازةً والعطشان ناهلًا

واللديغ سليمًا وما شاكل ذلك الا من باب التفاؤل فالمفازة هي المنجاه والناهل هو الريان

والسليم هو ذو السلامة وتارة لاظهار الحرص في وقوعه فالطالب متى تبالغ حرصه فيما يطلب

يطلب ربما انتقشت فى الخيال صورته لكثرة ما يناجى به نفسه فيتخيل اليه غير الحاصل حاصلاً

حتى اذا احكم الحس بخلافه غلطه تارة واستخرج له محملاً اخرى وعليه قول شيخ المعرة ما سرت

الا وطيف منك يصحبنى سُرىً امامى و تاويباً على اثرى يقول لكثرة ما ناجيتُ نفسى بك انتقشت

فى خيالى فاعدك بين يدى مغطا للبصر بعلة الظلام اذا لم يدركك ليلا امامى و اعدك خلفى

اذا لم يتيسر لى تغليطه حين لا يدركك بين يدى نهاراً و تارة لقصد الكناية كقول العبد المولى

اذا حول عنه الوجه ينظر المولى الى ساعةً و وجه حسنه اما نفس الكناية ان شئت واما الا حتراز

عن صورة الامر واما هما وتارة لحمل المخاطب على المذكور ابلغ حمل بالطف وجه كما اذا سمعت من

لا تحب ان ينسب الى الكذب يقول لك تأتينى غداً او لا تاتينى وتارة لمناسبات اُخر فتاملها

فيها كثيرة وما من اية من اى القران واردة على هذا الاسلوب الا مدارها على شئ من هذه النكت

قال لو واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله فى موضع لا تعبدوا واذ اخذنا ميثاقكم

لا تسفكون دماءكم فى موضع لا تسفكوا يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذابٍ اليم

تومنون بالله و رسوله وتجاهدون فى سبيل الله فى موضع امنوا وجاهدوا فانظر و من هذا

القبيل قول كل من يقول من البلغاء فى الدعاء رحمه الله او يرحمه الله ومن الجهات المحسنة لا ير اد

الطلب فى مقام الخبر اظهار معنى الرضاء بوقوع الداخل تحت لفظ الطلب اظهاراً الى درجة

كانت المرضى مطلوب فقال كُثَيِّر اسيئى بنا او احسِنى لاملومة فذكر لفظ الامر بالإساءة ثم

عليه بلفظ او الامر بضد الاساءة تنبيها على ان ليس المراد بالامر الايجاب المانع عن الترك لكن

المراد هو الاباحة التى لاسنا فى تخيير المخاطب بين ان يفعل وان لا يفعل فاعلاً كل ذلك لتوخى

اظهار مزيد الرضا باى ما اختارت فى حقه من الاساءة او الاحسان او توخى اظهار نفى ان يتفاوت

جوابه بتفاوته وقوعاً وعدم وقوع كما تقول صم او لا تصم فانى لا اترك الصيام توهم

من تخاطب انك تطلب منه ان يصوم وينظر فى حالك او لا يصوم وينظر ليتبين ثباتك

على الصيام صام هو او لم يصم وعليه قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين

مرة فلن يغفر الله لهم وكذا قوله تعالى انفقوا طوعاً او كرهاً لن يتقبل منكم وما شاكل ذلك

من لطائف الاعتبارات والامر فى باب التعجب من نحو اكرم بزيد على قول من يقول انه بمعنى الخبر

اخذاً همزته من قبيل ذى كذا جاعلاً الباء زائداً مثلها فى كفى بالله منخرط فى هذا السلك ولهذا

النوع اعنى اخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر اساليب متفننة اذ ما من مقتضى كلام ظاهرى

الا و لهذا النوع مدخل فيه بجهة من جهات البلاغة على ما تنبه على ذلك منذ اعتنينا بشان هذه

الصناعة وترشد اليه تارةً بالتصريح وتارات بالفحوى ولكل من تلك الاساليب عرق

فى البلاغة يتسرب من افانين سحرها ولا كالاسلوب الحكيم فيها وهو تلقى المخاطب بغير ما

ما يترقب كما قال انت تشتكى عندى مزاولة القرى وقدرات الضيفان

يجون منزلى فقلت كانى ما سمعت كلامها هم الضيف جدى فى قراهم وعجالى

او السائل بغير ما يتطلب كما قال الله تعالى يسئلونك عن الاهلة قل هى مواقيت

للناس والحج قالوا فى السوال ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يتزايد

قليلا قليلا حتى يمتلا ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا فاجيبوا بما ترى

وكما قال تعالى يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والا

والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سالوا عن بيان ما ينفقون فاجيبوا

ببيان المصرف ينزل سوال السائل منزلة سوال غير سواله لتوخى التنبيه له بالطف

وجه على تعديه عن موضع سوال هو اليق بحاله ان يسال عنه او اهم له

اذا تامل وان هذا الاسلوب الحكيم لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع

ما سلبه حكم الوقور وابرزه فى معرض المسحور وهل الان شكيمة الحجاج لذلك

الخارجى وسل سخيمته حتى اثر ان يحسن على ان يسى غير ان سحره بهذا الاسلوب

اذ تو عد الحجاج بالقيد فى قوله لاحملنك على الادهم فقال متغابيا مثل الامير حمل على

الادهم والاشهب مبرزا وعيده فى معرض الوعد ومتوصلا ان يريه بالطف

بالطف وجدان امرا مثله فى سند الامرة المطاعة خليق بان يصفد لا ان يصفد

وان يعدّ لا ان يُوعِدَ وليكن هذا آخر كلامنا الآن فى علم المعانى

منتقلين عنه الى علم البيان بتوفيق الله تعالى وعونه

حتى اذا قضينا الوطر من ايرادنا منه لما نحن له استانفنا

الاخذ فى التعرض للعلمين ليتمّ المراد منهما

بحسب المقامات ان شاء الله تعالى

بفضله ورحمته والله اعلم

بالصواب ولله الحمد اولاً واخراً

ولاحول ولا قوة ولاقدرة

الّا بالله العلى العظيم

تمت بعون الله

الملك

الكريم

م

جزء من شرح المفتاح في علم المعاني